

السنة الثالثة العدد ٢٩ ديسمبر ٢٠١٩

كَلِمَةُ حَقّ

أوراق شينجيانغ

ترجمة : أسامة خالد

مذكرات رفاعي طه ٢١

محمد إلهامي

خطر الأفكار الداعشية على الإسلام والإنسانية

د. عطية عدلان

الناتو العربي والتحالفات العسكرية في المنطقة

محمود جمال

حماس والجهاد الإسلامي إدارة الخلافات .. سر تجاوز الأزمات

أحمد قنيطة

وغيرها من المقالات ..

محتويات العدد ٢٩

••• ديسمبر ٢٠١٩ •••



klmtuhaq
دورية ثقافية معرفية
نخبة من الكتاب والمفكرين

المشرف العام
محمد إلهامي

مديـــر التحـــرير
حامد عبدالعظيم

ترحب مجلة 

باستقبال مقالات القراء ،

إذ تعمـــل هيئـــة التحـــريـــر علـــى فـــرزها ونشر المتميز منها في كل عدد جديد ، يُرجى إرسال المقالات على البريد التالي

klmtuhaq@gmail.com



klmtuhaq   

الافتتاحية ..

مصير المواطن الصالح

محمد إلهامي



روى الشهيد سيد قطب في مذكراته قصة بليغة معبِّرة، وهي تتماس مع ما كنا كتبناه في العدد الماضي عن «نكبة الشعوب العزلاء»، وهذه القصة الحقيقية وقعت في قريته موشا التابعة لمحافظة أسيوط، وكانت في العقد الثاني من القرن الماضي، والجدير بالذكر هنا أن هذه المذكرات التي تحكي طفولة سيد قطب وأيامه في القرية إنما كُتِبَتْ ونُشِرَت قبل أن يتحول إلى الفكر الإسلامي وقبل أن يتعرف على الإخوان المسلمين. وأهمية هذه القصة أنها تختزل كثيرا من الحقائق التي لا تزال حاضرة حتى الآن.

سأنقل القصة أولا، ثم أعقب عليها بما يهمنا من الوقوف عنده .

قال سيد قطب:

«صحت القرية مروعة على صهيل الخيل وقعقعة السلاح، وخطوات الجند الثقيلة، يأخذون مشارفها جميعا إلى الحقول، ويجوسون خلالها في جلبة وضوضاء على غير عادة لها من زيارة الجند في مثل هذا العديد وذلك الضجيج. وكان أول من كشف الخبر أولئك الذين تقتضيهم أعمالهم أن ينهضوا مع الفجر مبكرين ليغادروا القرية جميعا، فأوثقوهم بالحبال والسلاسل، وجعلوهم عندهم رهينة حتى لا يعودوا فيُنَبِئوا القرية النبأ، ويفسدوا التدبير الذي وضعته القوة الهاجمة على الناس وهم نيام.

ونفذت الخطة نفسها مع خفراء المشارف، فأديرت أيديهم إلى ظهورهم، وكُمِّمت أفواههم بحيث لا يستطيعون الكلام ولا الصياح، ثم اقتيد الجميع في عجلة إلى دوار العمدة الذي أوقظ في البكور، وحُجِز في غرفة من غرف دواره، ريثما يجتمع إليه مشايخ القرية الخمسة الذين جاء بهم العسكر من بيوتهم، فصُنِع بهم هناك ما صُنِع بالخفراء. وكانت القرية كلها قد استيقظت مروَّعة، لأن صهيل الخيل وقعقعة السلاح والهمسات الوجلة التي أخذت تتدسس إلى كل بيت ودرب قد فزَّعت الناس وملأت قلوبهم رعبا. ماذا؟ ماذا؟ إنها حملة لجمع السلاح!

حملة من مائتي جندي يقودها ضابط تعهد للسلطات بجمع السلاح من قرى المديرية جميعا، واختار هذه الطريقة المروّعة ليبدأ بها عمله، فلم تعلم القرية ماذا يبغي، ولا حتى العمدة والمشايخ، إلا بعد أن صار المقبوض عليهم بالعشرات، ومن بينهم مشايخ البلد الخمسة، وكلهم مكتوفو الأيدي بالحبال، تتلقاهم الأيدي بالصفع، والأرجل بالركل، دون أن يعلموا شيئا عن حقيقة ما يُراد بهم.. سوى أن الحكومة هنا، والحكومة تصنع هذا وسواه.. فالذين عاصروا الحكم التركي لا يزال بعضهم يعيش.

كانت السلطات قد أصدرت أمرا عسكريا بجمع السلاح، وعهدت في تنفيذه إلى رجال الإدارة، وهؤلاء عهدوا بتنفيذه إلى عُمَد البلاد كالمعتاد، فاجتمع بذلك عدد من قطع الأسلحة كالذي يجتمع كلما صدر أمر من هذا النوع، وهو عادة لا يساوي إلا نسبة صغيرة من الموجود في أيدي القرويين.



ولكي ندرك حقيقة الحال، يجب أن نعلم أن السلاح في القرية يملكه فريقان؛ الفريق الأول: هم أصحاب الحقول والمواشي وخفراؤهم الخصوصيون الذين يسهرون على أموالهم من اللصوص، والفريق الثاني: هم هؤلاء اللصوص الكثيرون الذين يجدون هذه الحرفة -على ما فيها من مخاطر- أضمن للعيش من العمل المرهق في الحقول.

ونَقْصُ السلاح في أيدي أصحاب الحقول والمواشي معناه زيادة في ارتكاب الجرائم، والاعتداء على بيوتهم وحقولهم ومواشيهم، أما نقص السلاح في أيدي اللصوص فمعناه تجريدهم من بعض وسائل الرزق التي اختاروها لأنفسهم في الحياة!

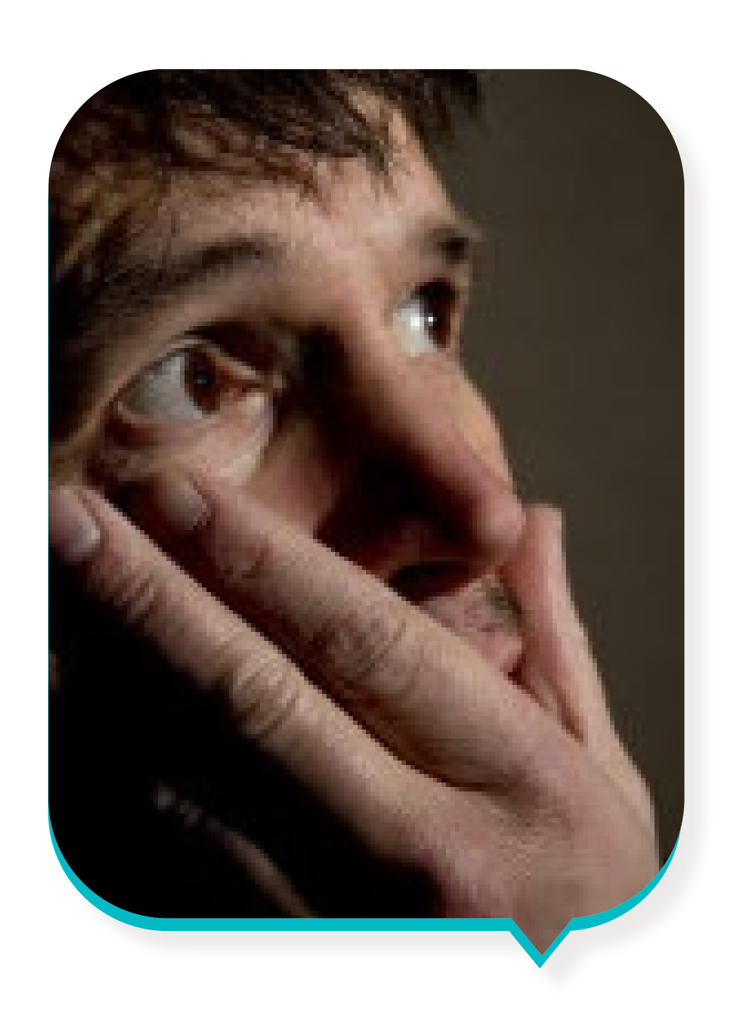
كلا الفريقين إذن حريص على اقتناء السلاح، ولما كان العمدة يخشى أفراد الفريق الثاني تارة، وتتفق مصلحته الخاصة مع وجودهم تارة، فإن جمع السلاح في كل مرة كان ينصبّ على الفريق الأول بكل تأكيد.

ولكن الأمور لا تجري في القرية بالعنف، ولا حسب الأوامر الرسمية، إنما تجري حسب المواضعات العرفية، فالعمدة يعلم بالضبط كم قطعة من السلاح في كل بيت، وما نوع كل قطعة، فإذا طلبت الحكومة جمع السلاح اتفق مع بعض من يملكونه على تقديم القطع القديمة منه، ولكي لا تكون المسألة مكشوفة، فإن بعض القطع الحديثة تُزَيِّن المقدار المجموع، ويُوَرَّد للسلطات كآخر ما استطاع العمدة أن يحصل عليه.

وطبيعي أن هذا كله لا يتم بالمجان، فلكل شيء ثمن، ولكل خدمة مقابل في الريف، فإذا خطر للسلطات أن ترسل بقوة وعلى رأسها ضابط لتولي هذا العمل، فالمرجع هو العمدة وبإشارته يتم كل شيء، وغداءٌ فخمٌ على أوزي وبعض أزواج الديكة والدجاج والحمام كفيلٌ مع الوسائل الأخرى بتسوية كل شيء، وإتمام المحاضر على خير ما يرام!

أما هـذه الطريقة المبتكرة، فقد تفَتَّقَت عنها عبقرية ذلك الضابط، الذي تعهد للسلطات بجمع السلاح جمعا حقيقيا من جميع قرى المديرية، فاتخذ هذا الأسلوب البارع المفاجئ الذي روعت له القرية كلها في جنح الظلام.

ونعود إلى هؤلاء المشايخ الخمسة الذين أديرت أيديهم إلى ظهورهم، أُلْصِقَتْ وجوههم بالحائط دون أن يعلموا شيئا مما يُطلب إليهم من مهام الحكومة التي اعتادوا أن يتلقوها بين الحين والحين، كجمع أنفار السخرة لإصلاح الجسور، ولتنقية الدودة من المزارع الكبيرة، أو قتل الجراد فيها، دون أن ينالوا على ذلك أجرا، لأن أجورهم -إن حُسِبَت لهم أجور- تذهب إلى جيوبٍ أخرى، وتؤخذ بصماتهم على أوراق لا يدرون ما هي، ثم ينصرفون وبحسبهم أنهم قد انصرفوا ناجين، بعد أن يكونوا قد كُلِّفوا استحضار طعامهم من بيوتهم طوال مدة السخرة التي تنقص أو تزيد!



لم يفصح لهم أحد عن هذه المهمة المطلوبة منهم في هذه المرة، ولكن أفصحت لهم السياط التي أخذت تلهب ظهورهم من أيدي الجنود، عن أن اليوم ليس كالأيام، وإنما هو العذاب الأليم الذي لا يملكون له ردًّا وهم مسجونون!

ثم أخذ الرصاص يدوي فوق رؤوسهم هم والخفراء المُوثقون، والأهالي الذين اصطيدوا من مشارف القرية ومن طرقاتها حسبما اتفق حتى امتلأ بهم فناء الدوار!

هذا الرصاص للإرهاب، وبلبلة الأفكار، وإتلاف الأعصاب، وبينما هذا الفزع الأكبر يُخيِّم عليهم، ويكاد يُفقدهم صوابهم، أُمِر كلٌّ من المشايخ أن يُملي على الشاويشية أسماء مائتي رأس أسرة ممن يملكون سلاحا في البلدة، وأن يُعَيِّن نوع قطع السلاح التي يملكونها!

وإذا كان قد بقي فيهم إلى الآن عقلٌ أو ذاكرة، فقد أخذ كل منهم يُملي الأسماء، وكلما توقف برهة ليتذكر، نزلت السياط على ظهره وجنبيه، فارتفعت حرارة العدّ، ومضى كالمجنون يُملي الأسماء!

وانتهت العملية فإذا في يد كل جاويش بيانٌ عن مائتي عائلة تحمل سلاحا، وأمام كل اسم نوع القطع التي يملكها رأس هذه العائلة.

ولسنا فــي حاجة إلى أن نقول: كيف كانت هذه البيانات، ولا مدى مطابقتها للواقع، فالشيخ المطلوب المجلود المهدد بالموت من الرصاص المتطاير فوق رأسه، لا يُطلب إليه في هذه الحال أن يتحرى شيئا، ولكننا نستطيع أن نؤكد أن أحدا من كبار الأشقياء المرهوبين لم يرد اسمه في هذه القائمة، وإذا كانت بعض الأسماء قد وردت فإنما هي لصغار الأشقياء الذين لا عصبية لهم في البلد ولا نفوذ!

وانتهت هذه المرحلة ووقف المشايخ الخمسة يلهثون من التعب والفزع والألم، أما العمدة فقد اشترى نفسه وكرامته من أول الأمر، لقد كان حصيفا، رأى العين الحمراء، فسارع إلى وسيلة مضمونة لإرضاء الحكام، هَدَتْه إليها تجربة طويلة وذكاء عملي ومقدرة على جميع الوسائل والاتجاهات!

ثم بدأت المرحلة الثانية، فانطلق الخفراء مع الجنود وهم مكتوفو الأيدي، يجوسون معهم خلال القرية ليدلوهم على البيوت، وليدقوا الأبواب يطلبون رؤوس العائلات، ويصروا على استحضار أكبرهم سنا، وكلما استحضروا منهم جماعة ذهبوا بهم إلى الدوار.. وهناك يُصنع بهؤلاء ما صُنِع من قبلُ بالمشايخ والخفراء قبل أن يُسْأَلوا شيئا وقبل أن يجيبوا، حتى إذا أُشْبِعوا ضربا وترويعا وإهانة صُرِّح لهم عما يُطلب منهم من قطع السلاح حسب البيانات. فأما إذا صادف أن كانت القطع المطلوبة من أحدهم مطابقة لما عنده فقد أحسّ بالفرج وبادر بالإقرار وطُلب أن يسمح له بإحضارها، ولكنه لم يُجَب إلى طلبه، إنما يُستدعى أحد أبنائه أو أحد أفراد عائلته، فيشاهده هكذا، ثم يلقى هو الآخر بعض الصفعات واللكمات، ثم يتلقى الأمر منه أن يستحضر قطع السلاح المطلوبة، فيخرج ركضا لاستحضارها، حتى إذا تمَّت معاينتها وظهرت مطابقتها للبيانات المكتوبة أُفرج عن الرجل وابنه أو قريبه، فخرجا لا يدريان النور من الظلام لشدة ما لَقِيا من اللكم والصفع، ومن الفزع والروع، وانصرف أهله لعلاج جروحه وكدماته بالزيوت والـمُسَكِّنات!



وأما إذا صادف أن اختلفت البيانات عما عنده من السلاح، أو لم يكن لديهم سلاح أصلا، فالويل له والثبور، يُعاد جلده ولكمه وصفعه ما دام يُنكر، أو يقرّ بسلاح آخر غير السلاح المطلوب، وفي الحالة الأخيرة كان يُحْضَر السلاح الذي يملكه، ثم يظل يُطالب بقطع السلاح الأخرى التي أملاها الشيخ وهو في ذهول الروع والآلام!

عندئذ يضطر المسكين أن يعترف بما ليس عنده، وأن يطلب مهلة لإحضاره من مكمنه البعيد، وفي هذه المهلة ينطلق أبناؤه وأقاربه يبحثون عن قطعة سلاح مطابقة للبيانات، لشرائها حيث تكون، فإن لم يجدوها في القرية ركبوا أسرع دوابهم للبحث عنها في القرى المجاورة، فيسمح لهم الحراس بالخروج بحجة أنهم ذاهبون لاستحضار سلاحهم المودع عند أقاربهم في هذه البلاد، اطمئنانا إلى أن رأس الأسرة رهين لدى القوة، وعذابه مرهون بالوقت الذي يقضونه غائبين.

وعندما يُوفَّقون إلى القطعة المطلوبة يؤدون الثمن الذي يطلبه صاحبها مهما ارتفع. وكثيرون انتهزوا هذه الفرصة فبالغوا في أثمان القطع المطلوبة، كما أن الكثيرين أيضا ظهرت أريحيتهم في إنقاذ المكروبين بأرخص الأسعار.

عندئذ يبتسم الضابط العبقري وهو يشاهد قطع السلاح المطلوبة تُحضَر بعد الإنكار، ويردّ ذلك إلى عبقريته الفذة التي أرشدته إلى اختيار أقوم طريق!

في نهاية اليوم كانت الأسلحة المجموعة تُصَنَّف أكواما أكواما، فهذه بنادق، وهذه غدارات، وهذه مسدسات، وهذه طبنجات، وهذه سيوف، وهذه سكاكين كبيرة، وهذه بلط، وهذه مزاريق، وكل «ماركة» من هذه الأنواع مرتبة وحدها، والضابط العظيم ينظر مرتاحا منتفشا كالديك إلى انتصاره الكاسح على أولئك القرويين الملاعين..

وكان في كل بيت من بيوت القرية مناحة صامتة، فهذا مشجوج الرأس، وذلك مرضوض الأضلاع، وذلك ملتهب الجلد، وهذا ممزق الأشداق، وكان نسوة وأطفال القرية يغدون ويروحون بالزيوت وكمادات الماء الساخن والبارد يسعفون بها المصابين.

وكان كثيرون من أهل القرية قد باعوا مواشيهم وطعام أطفالهم وحلي نسائهم ليشتروا بها قطع السلاح التي قيل إنها عندهم، وهم لم يحملوا في حياتهم سلاحا. لقد كان هؤلاء هم جماعة الفقراء الذين أكمل المشايخ بهم العدد، وهم في مأمن من ردّ الجميل، إذ لا قوة لهم كالأشقياء، ولا جاه لهم كالأثرياء.

●● ويمرّ على هذه الحادثة أكثر من ربع قرن! والطفل لا يزال يذكرها كأنها حادث الأمس القريب، لقد فزع للهول كما فزع كل طفل وكل رجل وكل امرأة. وفي أثناء هذه السنوات يسمع أن هذا الضابط الوحش قد رُقّي فصار في وقت من الأوقات وكيلا لمدير الأمن العام، اعترافا بكفايته في صون الأمن وحفظ النظام، فيكمن في نفسه شعور بالأسى الدفين.

ثم يسمع إشاعات بعد ذلك أنه لاقى حتفه وهو يزاول شناعة من هذه الشناعات، فيحس أن كابوسا ثقيلا قد رُفِع عن صدره، وتنفس الصعداء».

انتهـى الاقتباس مـن مذكرات الشهيد سيد قطب.. وبقي أن نُعَلِّق عليه بما هو مقصود المقال، فنقول وبالله التوفيق:

(١) أما الطغيان والجبروت والإجرام في السلطة المصرية فهو حديث طويل، وليس هو المقصود بالكلام هنا، ولكنه إجرام متأصل قديم، وحتى إشارة سيد قطب إلى «الحكم التركي» الذي لا زال يعيش بعض من أدركوه، فإنما المقصود به حكم أسرة محمد علي وليس الحكم العثماني، فقد انخلعت مصر من الحكم العثماني -عمليًا- منذ ١٨٠٥ مع تولي محمد علي للسلطة، وهذا الهجوم الذي تنفذه السلطة على الناس إنما هو أسلوب محمد علي في جمع المصريين للتجنيد الإجباري، ويمكن العودة في تفاصيل هذه المآسي لكتاب «كل رجال الباشا» (ص541 وما بعدها)، ومن وقتها صار الشعب المصري كالعبيد لدى السلطة، حتى إن الرحالة الإنجليزي ريتشارد بيرتون -الذي زار مصر في منتصف القرن التاسع عشر- يتحدث عن تقليد مستقر في ضرب المصري بالقفا إذا دخل قسم الشرطة. (رحلة بيرتون، ١/٩، ١٠٥).

إن الشعب قد صار مجموعة من العبيد بإمكان ضابط الشرطة أن يستبيحه كيفما شاء، أي أن العيش في مصر مرهون بمزاج ضابط الشرطة غالبا، فإذا خطرت له فكرة في إطار صلاحياته فبإمكانه أن ينفذها بما يحيل حياة الناس جحيما دون أن يبالي.

وبينما كانت تحتفظ القرى بنوع من الأعراف وحفظ المقامات واحترام الكبير، فإن السلطة لا تفهم هذا كله، إن حضور السلطة إلى القرية يعني انهيار كل القيم والأعراف والتقاليد، لتبرز الحقيقة الوحيدة: السيد والعبيد، وللسيد أن يفعل ما شاء بمن شاء كيفما شاء! لا معقب ولا رقيب.

ليس هذا فحسب، بل إن كفاءة الضابط تقاس بما يُحدثه من الترويع، ومن تحقيق علاقة السيد بالعبيد، فقد وصل إلى أن صار مديرا للأمن العام، ولم يلق جزاءه العادل إلا على يد مواطن «خارج عن القانون»!!

(٢) وأما اللافت للنظر والمثير للغيظ معا أن هذه السلطة المتوحشة لا تقيم الأمن، ولا تقضي على اللصوص، بحيث يضطر الناس إلى التسلح لحماية أنفسهم وأموالهم ، ولكن الحكومة تمنع حيازة السلاح تحت مبرر أنها الجهة التي تحتكر السلاح وتتكفل بحفظ الأمن وإقامة العدل. فكأنها تمنع عنك حيازة الماء لأنها تتكفل لك بإروائك من العطش ومع ذلك فإنها لا تفعل، فإذا حاولت أن تشرب فأنت مهدد بالعقاب!

لن نخوض الآن في حق حمل السلاح الذي هو حق أصيل للبشر منذ وُجِدوا على هذه الأرض، ولم يكن معرضا للنقاش إلا في عصر الحداثة هذا، مع أن بلاد الحداثة الآن تسمح بحمل السلاح وتتساهل في الترخيص به، إلا بلادنا، التي يُراد لشعوبها أن تعيش كالفراخ والدجاج تنتظر دورها على يد الجزّار. ولذلك كان التجريد من السلاح في مقدمة القرارات التي أصدرتها سلطات الاحتلال والتغريب منذ نابليون وحتى الآن.

لكن الذي يجب الخوض فيه والتركيز عليه، هو هذا الفارق بين الفريقيْن المسلحيْن في القرية، فثمة فريق يحمي السلاح ليدافع عن نفسه، وثمة فريق يحمل السلاح ليُهاجِم به فيسرق وينهب. أما الفريق الأول فهو خارج عن «القانون» في مسألة حمل السلاح وحدها، وأما ما سوى ذلك فهو مواطن صالح ملتزم بشروط السلطة: يؤدي الضرائب، يعمل بالسخرة، يتحاكم إلى المحاكم... إلخ! وأما الفريق الثاني فهو خارج عن «القانون» دائما، حياته هي نفسها الخروج على «القانون»..

فماذا كان المصير؟!

كان المصير أن هؤلاء الخارجين عن القانون هم الذين كانوا بمنأى عن السلطة، هم الذين كانت لهم من القوة والهيبة ما منع مشايخ البلد أن يُبْلِغوا عنهم حتى وهم في العذاب، لقد فضَّل مشايخ البلد أن يكتبوا أسماء الفقراء والتعساء ومن لم يحمل سلاحا قط ليُكملوا به العدد ولا أن يقتربوا من فئة اللصوص المسلحين..

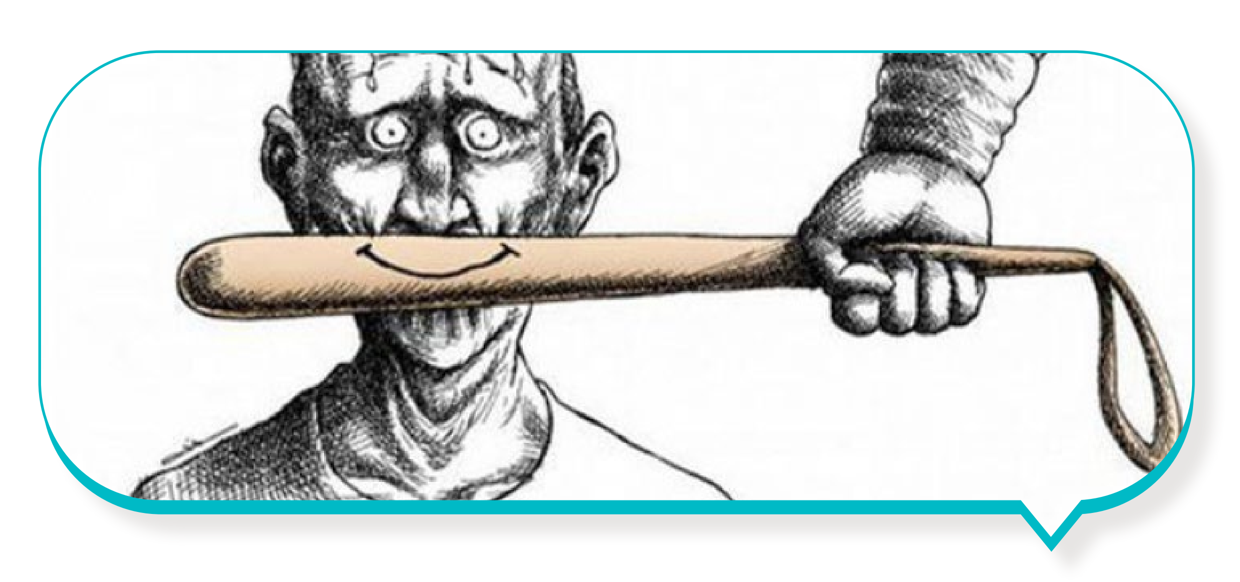


وهكذا، لم يدفع الثمن إلا المواطنون الصالحون الملتزمون بالقانون، بل ودفعه أولئك الضعفاء الذين لم يحملوا سلاحا أصلا لأنه ليست لديهم أموال يحرسونها أو ليست لديهم أموال يشترون بها سلاحا، بينما نجا من هذا المصير أولئك الذين مزَّقوا القانون وخرقوه ووضعوه تحت أقدامهم وعاشوا حياتهم لا يعترفون به ولا يقيمون له وزنا.

وهذا الوضع مستقر مستمر حتى يومنا هذا، فالسلطة في بلادنا تتحالف مع اللصوص والبلطجية ومنظمات الإجرام وتجار السلاح والمخدرات والأعضاء البشرية والآثار، وبينهما تحالفات وصفقات وخدمات متبادلة، بينما لا يُطبَّق القانون إلا على «المواطن الصالح»، فهذا المواطن الصالح يعاني من البلطجي واللص والمجرم ثم لا يجد طريقا إلا أن يشتكي للشرطة، وعند الشرطة يعاني مرة أخرى، بحسب ما يجده من الظروف وما يكون من مزاج الضابط الذي سيتولى أمره.

في هذه الحال، يجب أن يسأل المرء نفسه: هل من المفيد أن تكون هذا «المواطن الصالح»؟

(٣) وقعت هذه القصة في قرية موشا المنزوية في بلاد الصعيد، ولكنها تعبير حقيقي ممتاز عن السياسة الدولية، القوة الدولية التي تمثل السلطة العليا يمكنها أن تستبيح ما تشاء من العبيد بفارق القوة التي تملكها، وحتى السلطة المحلية التي تخدمها وتوفر عليها الوقت والجهد، يمكن أن يعنّ لها في بعض الأحيان أن تتجاوزها وتتدخل بنفسها لتنفذ ما تراه في صالحها.



إن عمدة القرية لم يكن متمردا، ولا مشايخ البلد، بل هم ممثلو السلطة العليا، هم الذين يديرون لها الأموال والثروة ويجمعون لها الضرائب والعاملين بالسخرة، ولكنهم يحتاجون في سبيل هذا لبعض المهارة والحكمة التي تفرضها الأعراف التي جعلتهم في موضع السلطة فيراعونها. السلطة القوية الغاشمة لا تعترف بهذا كله حين تريد. مثلما لا يتردد الضابط وجنوده في حبس العمدة ومشايخ البلد وإهانتهم، لا يتردد ترمب في إهانة وإذلال عملائه في السعودية ومصر رغم أنهم لم يفكروا في التمرد عليه، فهو ينهب بالمليارات ويفرض العقوبات ويهدد ويسخر، والعبيد يواصلون الخدمة ولا يفكرون في التمرد!

وحدهم الذين تسلحوا بأنفسهم، وغامروا بها، وخاطروا، وصاروا لا يبكون على شيء.. وحدهم الذين ينجون من الإهانة والإذلال.. فإما عاشوا كما أرادوا، وإما ماتوا موتا سريعا لا إهانة فيه ولا إذلال. وحدهم أولئك الذين استطاعوا الانتقام من الضابط الوحش الذي صار بوحشيته مدير الأمن العام!

مرت في شهر نوفمبر ذكرى استشهاد رجلين من أعظم المجاهدين في التاريخ الإسلامي الحديث، وهما الشيخ عز الدين القسام (٢٠ نوفمبر ١٩٣٥م) والشيخ عبد الله عزام (٢٤ نوفمبر ١٩٨٨ م)، وكلا الرجلين مثَّل رمزًا للمقاومة الإسلامية في عصره وفي الأجيال التالية له حتى يوم الناس هذا!

كلا الرجلين من رجال الأزهر الشريف، غير أنك لن تجد الأزهر المعاصر يحتفي بهما ولا يذكر لهما مآثرهما ولا يدرس سيرتهما، وما ذلك إلا لأن محاولات تحطيم الأزهر وتدجينه قد آتت ثمرتها، وصار الأزهر يدفع عن نفسه وصمة التطرف والإرهاب!!

وكلا الرجلين وجد طريقه للجهاد حين أغلق عليه الجهاد في بلده، فقد جاهد القسام في سوريا حتى أغلق عليه السبيل وضاقت به المسالك، فوجد سبيلا له للجهاد في فلسطين حتى لقي الشهادة. وحاول عزام أن يتصدى في قلة للاجتياح الإسرائيلي لقريته في نكبة ١٩٦٧ ثم ضاقت عليه سبيل الجهاد في بلده فوجد سبيله للجهاد في أفغانستان وكان شيخ المجاهدين العرب. وبهذا حقق الرجلان بسيرتهما واستشهادهما حقيقة أن الجهاد ماض إلى يوم القيامة، وأن الأمة أمة واحدة، وأن الحدود بينها ليست إلا ترابا وخيالا ولو تواطأ على ترسيخها وتعزيزها طواغيت الغرب والشرق.

وكلا الرجلين لا يزال حيا في ضمير الأمة وبين صفوة شبابها رغم أن السلطة ومنافذ تعليمها وثقافتها وإعلامها يعمل على طمسه وطمره أو على وصف طريقه ومنهجه بالتطرف والإرهاب، فضمير الأمة أبقى وأعمق، هذا مع أنه يجب أن نلوم كثيرا من الحركات الإسلامية كذلك أنها لم تسع في إحياء سيرة هذين الرجلين ولا تدريس سيرتهما ولا العناية بإنتاجهما (لا سيما الإنتاج العلمي الكبير لعزام)، فالذين حملوا على عاتقهم إحياء هذه الذاكرة إنما كانوا من الشباب الذين خلت أيديهم من عوامل القوة والنشر والترويج.

من أخطر ما وقع في الساحة الإسلامية الشهر الماضي هي الحرب التي عانت منها غزة، والتي بدأت باغتيال القيادي في الجهاد الإسلامي بهاء أبو العطا. إن ثمة انقساما حصل في ساحة غزة التي هي من أهم معاقل المقاومة، ونموذج المقاومة الراشدة التي تمزج السياسي بالعسكري وتوازن بين قوة العقل وقوة الساعد، وغزة عزيزة على كل مسلم، ثم هي أعز على كل مهموم بشأن الإسلام وشأن المقاومة. إن غزة بقعة مضيئة في الصمود ونموذج لم يكن يتوقعه أكثر الناس تفاؤلا، مع ما في كل تجربة من الهنات والأخطاء التي لا تخلو منها تجربة بشرية.



"لكن الذي حدث هذه المرة هو الأخطر في سياق أن العدو استطاع أن ينفذ عمليته بعد تخطيط وتصعيد إعلامي ثم عملية ميدانية تستهدف بوضوح إنشاء حالة الانقسام والشقاق بين حماس والجهاد، وهو الأمر الذي لا نستطيع القول إنه قد فشل فيه، بل على العكس، ما نراه من الحوارات بين شباب الفصيلين وما ندّ من بعض العناصر من الأفعال يشير إلى وضع مثير للخوف والقلق على العلاقة بينهما، وهو أمر يجب أن تتداعى له العقول والقلوب للإصلاح قبل أن يتسع الشقاق. ولعل هذا يكون أولى أولويات أهل الرشد في الساحة الفلسطينية!"

أذاعت صفحة المتحدث الإعلامي للعسكر المصري أنهم حكموا بالإعدام على هشام عشماوي، رائد الصاعقة المنشق عن الجيش المصري، ومؤسس تنظيم المرابطين، ولكن اللافت للنظر أن جملة التهم التي أذاعتها هذه الصفحة لا تتضمن فيما بينها اعتداء واحدا على مدنيين، بل كانت كل التهم هي مشاركته أو تنفيذه في قتال ضد العسكريين. وهذا الوضع طبقا للعلوم الأمنية العلمانية وتشريعاتهم القانونية لا تندرج تحت مسمى "الإرهاب"، بل يدرجونها تحت مسمى "التمرد"، فالإرهاب هو غالبا عمل ضد المدنيين وبلا أهداف سياسية وليست له حاضنة شعبية ولا يعبر عن قضية مشروعة، بينما التمرد هو عمل ضد نظام السلطة وله قضية مشروعة ويتمتع بحاضنة شعبية ويسعى لتحقيق أهداف سياسية.

والشاهد أن السلطة المصرية نفسها التي تهرف بوصف الإرهاب لم تحاول حتى أن تلفق تهمة "إرهابية" لخصمها الذي أزعجها، والذي لم تستطع أن تصل إليه بنفسها، وإنما سُلِّم لها تسليما.

وبالنسبة للسلطة المصرية فيعد الحديث عن محاكمة عادلة نوعا من الهزر والسفاهة، فإذا كان الذي هتف في وسط الجموع وأمام الشاشات "سلميتنا أقوى من الرصاص" قد حُكِم عليه بالإعدام عدة مرات وبمئات السنين، فكيف بالذي خاض المعركة ضدهم، من بعد ما كان واحدا منهم؟!

"ولا يمكن في هذه العجالة الحديث عن قضيته، وقد تناولناها سابقا في هذا المقال، ولكن الذي يمكن قوله: إنه وإن لم ينصفه التاريخ بعد سقوط هذا الحكم العسكري، فحسبه أن الله هو الرقيب الحسيب الذي لا يُظلم عنده أحد."

أوراق شينجيانغ

« لا رحمة على الإطلاق »



ملفات مسرَّبة تكشف
كيف نظَّمت الصين عمليات اعتقال جماعي للمسلمين

أكثر من أربعمائة صفحة من الوثائق الصينية الداخلية تتيح إلقاء نظرة داخلية غير مسبوقة على حملة قمع الأقليات العرقية في منطقة شينجيانغ.

نيويورك تايمز [1]

كتبه: أوستن رمزي وكريس بكلي | ١٦ نوفمبر ٢٠١٩

ترجمه: أسامة خالد

(1) https://www.nytimes.com/interactive/2019/11/16/world/asia/china-xinjiang-documents.html

هونغ كونغ - حجَز الطلاب تذاكر العودة إلى بيوتهم نهاية الفصل الدراسي وهم يأملون بعطلةٍ مريحة بعد الامتحانات وصيفٍ فيه لقاءُ عائلي سعيد في أقصى غرب الصين. إلا أنهم سيُعلمون بدلاً من ذلك قريباً بأن أهليهم وأقاربهم قد اختفوا وأن جيرانهم مفقودون - جميعهم محبوسون في شبكة معسكرات اعتقالٍ تزداد اتساعاً وقد بُنيت لاحتجاز أقليات عرقية إسلامية.

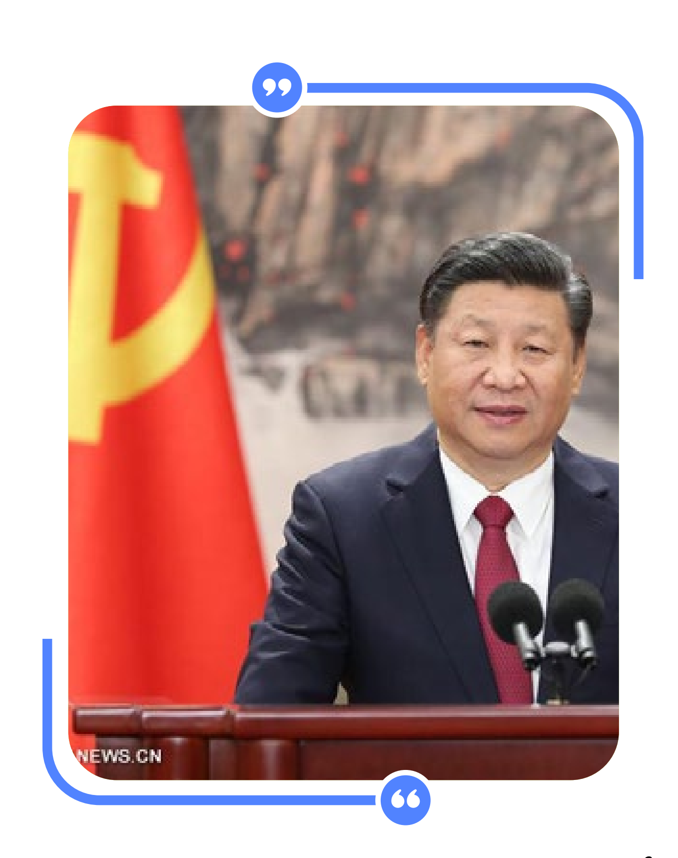
تشعر السلطات في منطقة شينجيانغ بالقلق من أن يكون الوضع هناك قنبلةً موقوتة.. ولذلك تأهَّبت. وزعت القيادة توجيهات سرية تنصح فيها الموظفين المحليين بالالتفاف على الطلاب العائدين بمجرد وصولهم وإسكاتهم. تضمَّنت التوجيهات دليلاً بيروقراطياً تقشعر له الأبدان عن كيفية التعامل مع أسئلتهم المعذبة، بدءاً بالسؤال الأكثر بداهة: «أين عائلتي؟»

- تبدأ الإجابة المقررة: «إنهم في مدرسة تدريب مهني أنشأتها الحكومة». وإذا تعرض الموظفون للضغط فإنهم يخبرون الطلاب بأن أقاربهم ليسوا مجرمين، إلا أنهم لا يمكنهم مغادرة هذه «المدارس».
- تضمَّن نص الأسئلة والأجوبة أيضاً تهديداً شبه صريح: يُبلغ الطلاب بأن سلوكهم يمكن أن يقصِّر أو يزيد مدة احتجاز أقاربهم.
- يُنصَح الموظفون أن يقولوا: «أنا متأكد من أنك ستساندهم، لأن هذا لصالحهم.. ولصالحك أيضاً».

كانت التوجيهات ضمن أربعمائة وثلاث صفحات من الوثائق الداخلية التي أُطلِعَت عليها صحيفة نيويورك تايمز في واحدة من أهم تسريبات الأوراق الحكومية من داخل الحزب الشيوعي الحاكم في الصين منذ عقود. وتتيح إلقاء نظرة داخلية غير مسبوقة على التضييق المتواصل في شينجيانغ، حيث احتجزت السلطات ما يصل إلى مليون من الإيغور، والكازاخيين وغيرهم في معسكرات الاعتقال والسجون على مدى السنوات الثلاث الماضية.

رَفَضَ الحزب الشيوعي الانتقادات الدولية للمعسكرات ووصَفَها بأنها مراكز تدريب مهني تستخدم أساليب معتدلة لمحاربة التطرف الإسلامي. إلا أن الوثائق تؤكد الطبيعة القسرية لحملة القمع من خلال كلمات وأوامر الموظفين أنفسهم الذين وضعوها ونظموها.

حتى عندما عرضت الحكومة جهودها في شينجيانغ على الجمهور على أنها خيِّرة وعادية جداً، فقد ناقشت ونظمت حملة قاسية وغير عادية في مناسبات التواصل الداخلية هذه. كبارُ قادة الأحزاب يصوَّرون وهم يأمرون باتخاذ إجراءات صارمة وعاجلة ضد العنف المتطرف من ضمنها الاعتقالات الجماعية ومناقشة العواقب بنوع من اللامبالاة الباردة.



وأشارت التقارير إلى أن الأطفال رأوا أهليهم وهم يُقتادون بعيداً، وتساءل الطلاب عمن سيدفع الرسوم الدراسية، وأن المحاصيل الزراعية لم يكن بالإمكان زرعها أو حصادها بسبب نقص القوى العاملة. ومع ذلك، وُجِّه الموظفون لإخبار الأشخاص الذين اشتكوا بأن يشعروا بالامتنان للمساعدة التي يقدمها الحزب الشيوعي لهم وأن يصمتوا.

تقدم الأوراق المسربة صورة ملفتة للنظر عن كيفية قيام الماكينة الخفية للدولة الصينية بتنفيذ أكثر حملات الاعتقال انتشاراً في البلاد منذ عهد ماو تسي تونغ. تشمل الأمور الرئيسية التي أُفشي عنها في المستندات ما يلي:

وضع الرئيس شي جين بينغ، رئيس الحزب، الأساس لحملة القمع في سلسلة من الخطابات التي ألقيت في جلسات مغلقة مع مسؤولين أثناء

وبعد زيارةٍ إلى شينجيانغ في أبريل ٢٠١٤، بعد أسابيع فقط من قيام مسلحين إيغور بطعن أكثر من مائة وخمسين شخصاً في محطة قطار.. قُتِل منهم واحد وثلاثون شخصاً. دعا السيد شي جين بينغ إلى «كفاح شامل ضد الإرهاب والاختراق والانفصالية» باستخدام «الأدوات الديكتاتورية»، والتعامل «بلا رحمة على الإطلاق.

أدت الهجمات الإرهابية في الخارج وتراجُع القوات الأمريكية في أفغانستان إلى زيادة مخاوف القيادة وساعدتا في صياغة حملة القمع. رأى مسؤولون أن الهجمات في بريطانيا ناتجة عن سياسات فيها «حقوق الإنسان مقدمة على الأمن»، وحثَّ السيد شي جين بينغ الحزب على محاكاة جوانب من «الحرب الأمريكية على الإرهاب» بعد هجمات الحادي عشر من سبتمبر.

توسعت معسكرات الاعتقال في شينجيانغ بسرعة بعد تعيين تشن كوانغو المتعصب للحزب في أغسطس ٢٠١٦ زعيماً جديداً على المنطقة. ووزَّع خطابات السيد شي جين بينغ لتبرير الحملة وحضَّ الموظفين على «إلقاء القبض على كل من ينبغي القبض عليه».

واجهت حملة القمع شكوكاً ومقاومة من الموظفين المحليين الذين كانوا يخشون أن يؤدي ذلك إلى استفحال التوترات العرقية وخنق النمو الاقتصادي. وردَّ السيد تشن كوانغو بتصفية الموظفين المشتبه بوقوفهم في طريقه، بمن فيهم زعيم المقاطعة الذي سُجن بعد أن أطلق آلاف السجناء من المعسكرات سرًّاً.

تتكون الأوراق المسربة من أربعٍ وعشرين وثيقة، بعضها يحتوي على مواد مكررة. وتشمل هذه الأوراق حوالي مائتَي صفحة من الخطابات الداخلية للسيد شي جين بينغ وقادة آخرين، وأكثر من مائة وخمسين صفحة من التوجيهات والتقارير بخصوص مراقبة سكان الإيغور في شينجيانغ. هناك أيضاً إشارات إلى خطط لتوسيع نطاق القيود المفروضة على الإسلام لتشمل أجزاء أخرى من الصين.

تشمل الوثائق:

- ٩٦ صفحة من الخطابات الداخلية للسيد شي جين بينغ.
- ١٠٢ صفحة من الخطابات الداخلية لمسؤولين آخرين.
- ١٦١ صفحة من التوجيهات والتقارير بخصوص مراقبة سكان الإيغور في شينجيانغ.
- ٤٤ صفحة لمواد مأخوذة من تحقيقات داخلية مع موظفين محليين.



بالرغم من عدم وضوح كيفية جمع الوثائق واختيارها، إلا أن التسريبات تشير إلى سخطٍ - أكبر مما كان معروفاً من قبل - داخل جهاز الحزب بسبب الحملة القمعية. كشف عن هذه الأوراق أحد أعضاء المؤسسة السياسية الصينية، وطلب عدم الكشف عن هويته، وعبَّر عن أمله في أن الكشف عن هذه الأوراق سيمنع قادة الأحزاب، بمن فيهم السيد شي جين بينغ، من الإفلات من المسؤولية عن الاعتقالات الجماعية.

تقوم القيادة الصينية بعملية وضع السياسات بسريَّة، خاصة عندما يتعلق الأمر بشينجيانغ، وهي منطقة غنية بالموارد وتقع على الحدود الحساسة مع باكستان وأفغانستان وآسيا الوسطى. تشكل الأقليات العرقية ذات الأغلبية المسلمة أكثر من نصف سكان المنطقة البالغ عددهم خمسُ وعشرون مليون نسمة. وأكبر هذه المجموعات هم الإيغور الذين يتحدثون لغةً تركية ويعانون منذ فترة طويلة من التمييز في المعاملة ومن القيود المفروضة على أنشطتهم الثقافية والدينية.

سعت بكين لعقود إلى قمع المقاومة الإيغورية للحكم الصيني في شينجيانغ. وبدأت حملة القمع الحالية بعد موجة من العنف ضد الحكومة والصين، ومن ضمنها أعمال الشغب العرقية عام ٢٠٠٩ في مدينة أورومتشي - العاصمة الإقليمية - وهجوم في مايو ٢٠١٤ في أحد الأسواق قُتل فيه تسعة وثلاثون شخصاً قبل أيام من عقد السيد شي جين بينغ مؤتمراً للقيادة في بكين لرسم مسار سياسي جديد في شينجيانغ.

منذ عام ٢٠١٧ ، احتجزت السلطات في شينجيانغ مئات الآلاف من الإيغور والكازاخيين وغيرهم من المسلمين في معسكرات الاعتقال. يخضع السجناء لأشهر أو سنوات من التلقين العقائدي والاستجواب بهدف تحويلهم إلى مؤيدين علمانيين وموالين للحزب.

التوجيهات المتعلقة بكيفية التعامل مع طلاب الأقليات العائدين إلى شينجيانغ في صيف عام ٢٠١٧ تقدِّمُ المناقشةَ الأكثر تفصيلاً من بين أربع وعشرين وثيقة - بخصوص معسكرات التلقين العقائدي، وتُعَدُّ المثالَ الأوضح للطريقة المنظمة تنظيماً صارماً والتي يروي فيها الحزب للناس قصةً ما.. بينما يحشد داخل منظومته لأحداث أقسى بكثير.

حتى عندما تنصح الوثيقة الموظفين بإبلاغ الطلاب بأن أقاربهم يتلقون «علاجاً» بسبب تعرضهم للإسلام الراديكالي، فإن عنوانها يشير إلى أفراد الأسرة الذين «يُتعامَل معهم»، أو‹chuzhi›، وهي كناية تستخدم في وثائق الحزب ويُقصَد بها ‹يعاقبون›.

كتب الموظفون في توربان، وهي مدينة في شرق شينجيانغ، نصَّ الأسئلة والأجوبة بعد أن حذرت الحكومة الإقليمية الموظفين المحليين للاستعداد للطلاب العائدين. وقامت الوكالة القائمة على تنسيق الجهود «للحفاظ على الاستقرار» في شينجيانغ بتوزيع الدليل في جميع أنحاء المنطقة وحثت الموظفين على استخدامه كنموذج.

تُرسل الحكومة أذكى الشباب الإيغور من شينجيانغ إلى الجامعات في جميع أنحاء الصين، بهدف تدريب جيل جديد من موظفين حكوميين ومدرسين إيغور ولاؤهم للحزب.

تُظهِر التوجيهات أن الحملة كانت واسعة النطاق لدرجة أنها أثرت حتى على هذه النُخب من الطلاب.. وهذا ما جعل السلطات متوترة.



وأشارت التوجيهات إلى أن «الطلاب العائدين من أرجاء الصين الأخرى لديهم روابط اجتماعية واسعة النطاق في جميع أنحاء البلاد، وفي اللحظة التي يُبدون فيها آراء خاطئة على وسائل التواصل الاجتماعي«WeChat» و «Weibo» ومنصات أخرى للتواصل الاجتماعي، سيكون التأثير واسع النطاق وسيصعب القضاء عليه».

حذرت الوثيقة من أن هناك "احتمالاً خطيراً" أن يقع الطلاب في حالة من "الاضطراب" بعد معرفة ما حدث لأقاربهم. وأوصت أن يلتقي بهم رجال شرطة يرتدون ملابس مدنية وموظفون محليون من ذوي الخبرة بمجرد عودتهم "لإبداء قلقهم وعطفهم وللتأكيد على الالتزام بالقواعد".

تبدأ التوجيهات المتعلقة بدليل الأسئلة والأجوبة بلطف، حيث يُنصَح الموظفون بإخبار الطلاب بأن "لا داعي للقلق مطلقاً" بشأن الأقارب الذين اختفوا.

أُخبِر الموظفون بأن يقولوا: "الرسوم الدراسية لفترة دراستهم مجانية وكذلك تكاليف الإطعام والمعيشة، ويتمتعون بمستوىً معيشيٍّ عالٍ جداً"

قبل أن يضيفوا أن السلطات تنفق أكثر من ثلاث دولارات في اليوم على وجبات الطعام لكل معتقل، وذلك "أفضل من مستويات المعيشة لبعض الطلاب في بلادهم".

وتنتهي الإجابة على النحو التالي: "إذا كنت ترغب في رؤيتهم، فيمكننا اتخاذ الترتيبات اللازمة لعقد اجتماع مصوَّر عبر الانترنت".

ومع ذلك، توقعت السلطات أن من غير المرجح أن يؤدي ذلك إلى تهدئة الطلاب وقدَّمت ردوداً على سلسلة من الأسئلة الأخرى:

متى سيُطلَق سراح أقاربي؟ إذا كان هذا للتدريب، فلماذا لا يمكنهم العودة إلى المنزل إذاً؟ هل يمكنهم طلب إجازة؟ كيف سأدفع تكاليف المدرسة إن كان والداي يدرُسان ولم يكن هناك أحد يعمل في المزرعة؟

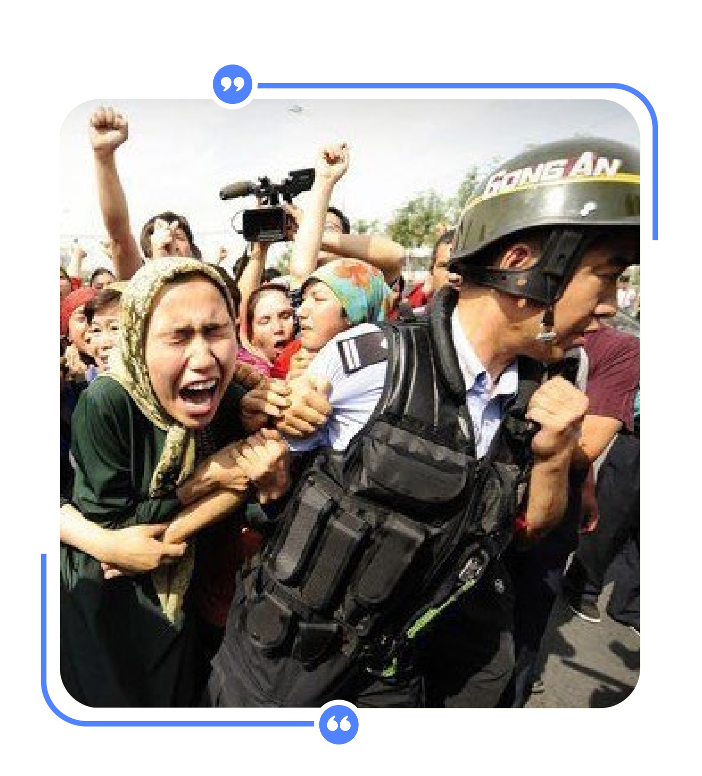
أوصى الدليل بردود حازمة على نحو متزايد تخبر الطلاب أن أقاربهم قد "أصيبوا" بفيروس التطرف الإسلامي ويجب عزلهم ومعالجتهم. ووُجِّه الموظفون بأن يقولوا حتى الأجداد وأفراد الأسرة الذين كان يبدو أنهم أكبر سناً من أن يستطيعوا ممارسة العنف لم يكن إعفاؤهم ممكناً.

وذُكر في إحدى الإجابات، مع الاستشهاد بالحرب الأهلية في سوريا وظهور تنظيم الدولة الإسلامية: "إن لم يُدرّبوا ويُدرَّسوا، فلن يفهموا تماماً وبشكل كامل مخاطر التطرف الديني.. بغضِّ النظر عن العمر، يجب على أي شخص مصاب بالتطرف الديني أن يُدرَّس".

وقالت الوثيقة إن الطـلاب يجب أن يكونوا ممتنين للسلطات لإبعادها أقاربَهم.

وذُكِر في إحدى الإجابات: "قدِّروا قيمة هذه الفرصة للتعليم المجاني التي قدَّمها الحزب والحكومة للقضاء التام على التفكير الخاطئ، وكذلك تَعلُّم المهارات المهنية واللغة الصينية إن هذا يوفر أساساً رائعاً لحياة سعيدة لعائلتك".

يبدو أن السلطات تستخدم نظام تسجيل النقاط لتحديد الأشخاص الذين يمكن إطلاق سراحهم من المعسكرات: حَوَت الوثيقة تعليمات للموظفين بإخبار الطلاب بأن سلوكهم قد يضر سجل نقاط أقاربهم، وحوت تعليمات بتقييم السلوك اليومي للطلاب وتسجيل حضورهم في الدورات التدريبية والاجتماعات وغيرها من الأنشطة.



أُخبِر للموظفين بأن يقولوا: "يجب أن يلتزم أفراد الأسرة، بمن فيهم أنت، بقوانين الدولة وأنظمتها، وألا يصدِّقوا أو ينشروا الشائعات.. عند ذلك فقط يمكنك إضافة نقاط لأفراد أسرتك، وبعد فترة تقييم يمكنهم مغادرة المدرسة إذا استوفوا معايير إكمال الدورة".

نُصِح الموظفون إن سئلوا عن تأثير عمليات الاحتجاز على الشؤون المالية للأسرة أن يطمئنوا الطلاب أن "الحزب والحكومة سيبذلان قصارى جهدهما لتخفيف الصعوبات التي تواجههم".

ومع ذلك، قد تكون العبارة الأكثر بروزاً في النص هي الإجابة النموذجية على كيفية الرد على الطلاب الذين يسألون عن أقاربهم المحتجزين، **"هل ارتكبوا جريمة؟"**

حوت الوثيقة تعليمات للموظفين بالإقرار بأن أقارب الطلاب لم يفعلوا ذلك. وجاء في نص الوثيقة: "الأمر وما فيه أن تفكيرهم انتقلت إليه أفكارُ غير سليمة". "الحرية ممكنة فقط عندما يُقضى على هذا "الفيروس" في تفكيرهم ويصبحون سليمي التفكير".

خطابات سرية

يمكن إرجاع الأفكار المحركة للاعتقالات الجماعية إلى زيارة شي جين بينغ الأولى والوحيدة لشينجيانغ كرئيس للصين، وهي جولة يخيِّم عليها العنف. في عام ٢٠١٤ ، بعد أكثر من عام بقليل من توليه الرئاسة، قضى أربعة أيام في المنطقة، وفي اليوم الأخير من الرحلة قام مسلحان من الإيغور بتفجير انتحاري خارج محطة قطار في أورومتشي أدى إلى إصابة ما يقرب من ثمانين شخصاً، كانت إصابة واحد منهم قاتلة.

قبل ذلك بأسابيع، قام مسلحون بطعن الناس بالسكاكين في حالة من الهياج في محطة قطار أخرى في جنوب غرب الصين.. قُتِل فيها واحد وثلاثون شخصاً وأصيب أكثر من مائة وأربعين. وبعد مرور أقل من شهر على زيارة السيد شي جين بينغ، ألقى مهاجمونَ متفجرات في سوق للخضروات في أورومتشي، فأُصيب أربعة وتسعون شخصاً وقتل تسعة وثلاثون شخصاً على الأقل.

وإزاء حالات سفك الدماء هذه، ألقى السيد شي جين بينغ سلسلة من الخطابات السرية راسماً المسار المتشدد الذي انتهى بالهجوم الأمني الجاري الآن في شينجيانغ. في حين ألمحت وسائل الإعلام الحكومية إلى هذه الخطابات، إلا أنها لم تخرج إلى العلن.

على الرغم من ذلك، كانت نصوص أربعة من تلك الخطابات من بين الوثائق التي سُرِّبت، وهي تتيح إلقاء نظرة نادرة وغير منقَّاة على جذور حملة القمع ومعتقدات الرجل الذي حرَّكها.

قال السيد شي جين بينغ في إحدى كلماته بعد رؤيته فرقة شرطة لمكافحة الإرهاب في أورومتشي: "الأساليب التي يحوزها رفاقنا بدائية للغاية.. ولا يصلح أي من هذه الأسلحة في الرد على سواطيرهم الكبيرة وفؤوسهم وأسلحتهم البيضاء".

وأضاف: "يجب أن نكون قُساةً مثلهم.. وألا نرحمهم أبداً".

وفي خطاباته الحرة في شينجيانغ وفي مؤتمر لاحقٍ للقيادة بشأن سياسة شينجيانغ في بكين، صُوِّر السيد شي وهو يفكر مليَّاً فيما سمَّاه قضية أمنية قومية بالغة الأهمية ويطرح أفكاره بشأن "حرب شعبية" في المنطقة.



على الرغم من أنه لم يأمر بالاحتجاز الجماعي في هذه الخطابات، إلا أنه دعا الحزب إلى إطلاق أدوات "الديكتاتورية" للقضاء على الإسلام المتطرف في شينجيانغ.

أبدى السيد شي جين بينغ اهتماماً كبيراً بقضية بدت وكأنها ذهبت أبعد بكثير من ملاحظاته المعلنة بخصوص هذا الموضوع. فقد شبَّه التطرف الإسلامي بشكل متناوب بعدوى شبيهة بالفيروسات وبمخدرات تسبب الإدمان بشكل خطير، وصرَّح أن التصدي لها يتطلب "فترة من العلاج المؤلم الذي يتطلب تدخُّلاً".

قال السيد شي جين بينغ للموظفين في أورومتشي في **٣٠** أبريل **٢٠١٤**، وهو اليوم الأخير من رحلته إلى شينجيانغ: "يجب ألَّا يُقلَّل من شأن التأثير النفسي للفكر الديني المتطرف على الناس. الأشخاص الذين يسيطر عليهم التطرف الديني - ذكوراً كانوا أو إناثاً، مسنّون أو شباباً - تموت ضمائرهم ويفقدون إنسانيتهم ويقتلون دون أن يرفَ لهم جفن".

في كلمة أخرى في مقر القيادة في بكين بعد ذلك بشهر حذر من "سمِّيّة التطرف الديني".

قال: "بمجرد أن تؤمن به، فإنه يشبه تناول المخدرات.. تفقد إحساسك، وتصاب بالجنون، وتفعل أي شيء".

في العديد من المقاطع المفاجِئة بالنظر إلى حملة القمع التي تلت ذلك أخبر السيد شي جين بينغ الموظفين أيضاً بعدم ممارسة التمييز ضد الإيغور واحترام حقهم في العبادة. وحذر من المبالغة في رد الفعل تجاه الاحتكاك الطبيعي بين الإيغور وطائفة الهان الصينية - وهم الطائفة العرقية المهيمنة في البلاد - ورفض مقترحات لمحاولة القضاء على الإسلام بالكامل في الصين.

وقال خلال مؤتمر بكين "بالنظر إلى القوى الانفصالية والإرهابية تحت راية الإسلام، يرى بعض الناس ضرورة تقييد الإسلام أو حتى القضاء عليه". ووصف وجهة النظر هذه بأنها "منحازة.. أو حتى خاطئة".

لكن النقطة الأساسية للسيد شي جين بينغ كانت واضحة: كان يقود الحزب في منعطف حاد نحو مزيدٍ من القمع في شينجيانغ.

قبل عهد السيد شي، كان الحزب في كثير من الأحيان يصف الهجمات في شينجيانغ بأنها من عمل عددٍ قليل من المتعصبين الذين حركتهم ودبَّرت لهم جماعاتٌ انفصالية غامضة في الخارج. لكن السيد شي جين بينغ قال إن التطرف الإسلامي قد ترسخت جذوره في شرائحَ من مجتمع الإيغور.

في الواقع، تلتزم الغالبية العظمى من الإيغور بمعتقدات معتدلة، على الرغم من أن البعض بدأ في التسعينيات بتبني ممارسات دينية أكثر تحفُّظاً ومعلنة بشكل أكبر، على الرغم من الضوابط التي فرضتها الدولة بخصوص الإسلام. تشير ملاحظات السيد شي جين بينغ إلى أنه خشي أن يُعاد إحياء ظاهرة التقوى العلنية. وألقى باللوم على القيود المتراخية المفروضة على الدين، مشيراً إلى أن أسلافه لم يأخذوا حذرهم كما ينبغي.



في حين أكد القادة الصينيين السابقين على مسألة التنمية الاقتصادية لإخماد الاضطرابات في شينجيانغ، قال السيد شي جين بينغ إن هذا غير كاف. وطالب بعلاج أيديولوجي - محاولةٍ لتجديد تفكير الأقليات المسلمة في المنطقة.

وقال السيد شي جين بينغ في مؤتمر القيادة الذي عُقِد لمناقشة سياسة شينجيانغ بعد ستة أيام من الهجوم المميت على سوق الخضراوات: "يجب استخدام أسلحةِ 'ديكتاتورية الشعب الديمقراطية' [ديمقراطية بين الشعب، دكتاتورية ضد الخصوم] دون أي تردد".

السيد شي جين بينغ هو ابن زعيم من أوائل زعماء الحزب الشيوعي، وكان في الثمانينيات يؤيد السياسات الأكثر ليناً تجاه طوائف الأقليات العرقية، وكان بعض المحللين يتوقعون أنه قد يتبع أساليب والده الأكثر اعتدالاً عندما تولى قيادة الحزب في نوفمبر ٢٠١٢.

لكن الخطابات تؤكد كيف يرى السيد شي جين بينغ مخاطر على الصين من خلال موشور انهيار الاتحاد السوفيتي، وكان يلقي باللوم لانهياره على التهاون الإيديولوجي والقيادة الضعيفة.

بدأ في كافة أنحاء الصين بالقضاء على التحديات التي تواجه حكم الحزب. اختفى المنشقون ومحامو حقوق الإنسان في موجات من الاعتقالات. وفي شينجيانغ، أشار إلى أمثلة من التكتُّل السوفيتي السابق كحجَّة بأن النمو الاقتصادي لن يحصِّن المجتمع بوجه الانفصالية العرقية.

وقال في مؤتمر القيادة إن جمهوريات البلطيق كانت من بين الدول الأكثر تطوراً في الاتحاد السوفيتي ولكنها كانت أول من غادر عندما انهار البلد. وأضاف أن الرخاء النسبي في يوغوسلافيا لم يحُل دون تفككها أيضاً.

وقال السيد شي: ”نحن نقول إن التنمية هي الأولوية العليا وهي الأساس لتحقيق أمنٍ دائم، وهذا صحيح، ولكن سيكون من الخطأ الاعتقاد أن بالتنمية تحُل كل مشكلة نفسها“.

في الخطابات، أبدى السيد شي جين بينغ دراية عميقة بتاريخ مقاومة الإيغور للحكم الصيني، أو على الأقل نسخة بكين الرسمية منه، وناقش وقائع نادراً ما ذكرها القادة الصينيون علناً إن كانوا ذكروها أصلاً من ضمنها فترات قصيرة من حكم الإيغور الذاتي في النصف الأول من القرن العشرين.

العنف الذي قام به مسلحو الإيغور لم يهدد السيطرةَ الشيوعية على المنطقة أبداً. على الرغم من أن الهجمات أصبحت أكثر فتكاً بعد عام ٢٠٠٩ عندما توفي ما يقرب من مائتي شخص في أعمال شغب عرقية في أورومتشي، إلا أنها ظلت صغيرة نسبياً ومبعثرة وغير معقدة.



ومع ذلك، حذر السيد شي جين بينغ من أن العنف ينتشر من شينجيانغ إلى أجزاء أخرى من الصين ويمكن أن يشوه صورة قوة الحزب. وقال السيد شي جين بينغ في مؤتمر القيادة: "ما لم يُخمَد التهديد، سيعاني الاستقرار الاجتماعي من الصدمات، وستتضرر الوحدة العامة للناس من كل عرق، وستتأثر التوقعات العامة للإصلاح والتنمية والاستقرار".

وبوضع المجاملات الدبلوماسية جانباً، فقد وَجد أن جذور التطرف الإسلامي في شينجيانغ تأتي من الشرق الأوسط، وحذّر من أن الفوضى في سوريا وأفغانستان ستزيد المخاطر على الصين. وقال إن الإيغور قد سافروا إلى كلا البلدين، وقد يعودوا إلى الصين مقاتلين متمرسين يسعون إلى إقامة وطن مستقل، أطلقوا عليه اسم "تركستان الشرقية".

وقال السيد شي جين بينغ: "بعد أن تسحب الولايات المتحدة قواتها من أفغانستان، فإن التنظيمات الإرهابية المتمركزة على حدود أفغانستان وباكستان قد تتسلل بسرعة إلى آسيا الوسطى". وقال: "قد يشنُّ إرهابيو تركستان الشرقية الذين تلقوا تدريبات في حرب حقيقية في سوريا وأفغانستان في أي وقت هجمات إرهابية في شينجيانغ".

ردَّ هو جين تاو - سَلَف السيد شي جين بينغ - على أعمال الشغب التي وقعت في أورومتشي عام ٢٠٠٩ بحملة قمع، لكنه شدد أيضاً على التنمية الاقتصادية كعلاج للسخط العرقي - سياسة الحزب طويلة العهد. لكن السيد شي جين بينغ أشار إلى خروجٍ عن نهج السيد هو جين تاو في خطاباته.

وقال: "في السنوات الأخيرة، نَمَت شينجيانغ بسرعة كبيرة وارتفع مستوى المعيشة بشكل ثابت، وبالرغم من ذلك ما تزال الانفصالية العرقية والعنف الإرهابي في ازدياد". وقال: "هذا يدل على أن التنمية الاقتصادية لا تجلب تلقائياً نظاماً وأمناً دائمَين".

وقال السيد شي جين بينغ إن ضمان الاستقرار في شينجيانغ يتطلب حملة واسعة من المراقبة وجمعِ المعلومات الاستخبارية لاجتثاث المقاومة في مجتمع الإيغور.

وقال إن التكنولوجيا الجديدة يجب أن تكون جزءاً من الحل، منذراً بنشر تقنية التعرف على الوجه، والفحوص الجينية ومعالجة البيانات الضخمة[1] في شينجيانغ. لكنه شدد أيضاً على الأساليب القديمة - مثل المُخبِرين في الأحياء السكنية - وحثَّ الموظفين على دراسة كيفية ردِّ الأمريكيين على هجمات الحادي عشر من سبتمبر.

قال إن الصين - كما فعلت الولايات المتحدة - "يجب أن تجعل عامَّة الناس مورداً هاماً في حماية الأمن القومي".

وقال: "نحن الشيوعيون يجب أن نكون أشخاصاً طبيعيين في خوضنا حرباً شعبية". وقال: "نحن الأفضل في التنظيم لمهمة ما".

---

(١) المجال الذي يعالج طرق تحليل أو استخراج المعلومات أو التعامل معها بشكل منظَّم من مجموعات البيانات الكبيرة أو المعقدة التي لا يمكن التعامل معها من خلال برامج معالجة تقليدية.

وكان الاقتراح الوحيد في هذه الخطابات وقد تصوَّر السيد شي جين بينغ معسكرات الاعتقال الآن في وسط حملة القمع هو اعتماد برامج تلقين عقائدي أكثر شدة في سجون شينجيانغ.

وقال للموظفين في جنوب شينجيانغ في اليوم الثاني من رحلته: ”يجب أن يكون هناك قولبة وتغيير ثقافيَّين فعالَين للمجرمين. وحتى بعد إطلاق سراح هؤلاء الأشخاص، يجب أن يستمر تعليمهم وتحوُّلهم“.



في غضون أشهر بدأ فتح مواقع التلقين العقائدي في أنحاء شينجيانغ معظمها كانت في البداية منشآت صغيرة استوعبت عشرات أو مئات من الإيغور في آن معاً لجلسات تهدف إلى الضغط عليهم ليتخلوا عن ولائهم للإسلام ويقروا بامتنانهم للحزب.

ثم في أغسطس ٢٠١٦ ، تم نقل أحد المتعنِّتين واسمه تشين كوانغو من التبت ليحكم شينجيانغ. ودعا الموظفين المحليين خلال أسابيع إلى ”إعادة حشد الطاقات“ من أجل تحقيق أهداف السيد شي جين بينغ وأعلن أن خطابات السيد شي جين بينغ ”حددت الاتجاه الذي سيؤدي لإنجاح شينجيانغ“. وتبع ذلك ضوابط أمنية جديدة وتوسع كبير في معسكرات التلقين العقائدي.

وقال السيد تشين كوانغو في كلمة ألقاها أمام القيادة الإقليمية في أكتوبر ٢٠١٧ : "إن الكفاح ضد الإرهاب ولحماية الاستقرار هو حرب طويلة الأمد، وهو كذلك حرب هجومية". وكانت هذه الكلمة من بين الأوراق التي تم تسريبها.

في وثيقة أخرى - وهي سجلٌّ لملاحظاته في مؤتمر مصوَّر عبر الانترنت في أغسطس ٢٠١٧ - استشهد بـ "مراكز المهارات المهنية ومراكز التدريب التثقيفي ومراكز التغيير" كمثال على "الممارسات الجيدة" لتحقيق أهداف السيد شي جين بينغ في شينجيانغ.

يبدو أن الحملة القمعية أدت إلى إخماد الاضطرابات العنيفة في شينجيانغ، ولكن العديد من الخبراء حذروا من أن الإجراءات الأمنية الشديدة والاعتقالات الجماعية من المرجح أن تولد استياءً قد يؤدي في نهاية المطاف إلى اشتباكات عرقية أسوأ.

أُدينت المعسكرات في واشنطن وعواصم أجنبية أخرى. توقع السيد شي جين بينغ النقد الدولي في وقت مبكر - في مؤتمر القيادة في مايو ٢٠١٤ وحث الموظفين الذين كانوا يعملون في الخفاء على تجاهل ذلك.

وقال: "لا تخافوا إن كانت هناك قوى معادية تولول، أو إن كانت القوى المعادية تشوه صورة شينجيانغ".

"اعتقلوا الجميع"

تظهــر الوثائق أن هناك مقاومة للحملة القمعية داخل الحزب أكثر مما كان معروفاً سابقاً، وتُبرز الوثائق الدور الرئيسي الذي لعبه رئيس الحزب الجديد في شينجيانغ في التغلب على تلك المقاومة.

قــاد السيــد تشين كوانغو حملة تشبه إحدى حملات ماو تسي تونغ السياسية المضطربة، والتي كانت فيها ممارسة الضغط على الموظفين المحليين من الأعلى إلى الأسفل قد شجعت حدوث تجاوزات، وكان أي تعبير عن الشك يعامَل كجريمة.



في فبراير ٢٠١٧ ، أَخبَر الآلاف من رجال الشرطة والقوات الواقفة بانتباه في ساحة واسعة في أورومتشي أن يتجهّزوا "لهجوم مبيد وكاسح". تشير الوثائق إلى أن القيادة اتفقت في الأسابيع التالية على خطط لاحتجاز الإيغور بأعداد كبيرة.

أصدر السيد تشين كوانغو أمراً كاسحاً: "ألقوا القبض على كل من ينبغي القبض عليه". تَظهَر العبارة الغامضة بشكل متكرر في مستندات داخلية منذ عام ٢٠١٧ .

سبق أن استخدم الحزب عبارة "ying shou jin shou" باللغة الصينية عند مطالبة الموظفين باليقظة والشمولية في تحصيل الضرائب أو حساب كمية المحاصيل. الآن تم تطبيقها على البشر في التوجيهات التي أمرت بدون ذكر إجراءات قضائية - باحتجاز أي شخص أبدى "أعراضاً" للتطرف الديني أو آراء معادية للحكومة.

حددت السلطات العشرات من هذه العلامات، من ضمنها تعلق بالسلوك الطبيعي بين الإيغور المتدينين مثل إعفاء اللحى، وترك التدخين أو شرب الخمر، ودراسة اللغة العربية، والصلاة خارج المساجد.

عزز قادة الحزب الأوامر المفروضة بتحذيرات من الإرهاب الحاصل في الخارج ومن هجمات مماثلة محتملة في الصين.

على سبيل المثال، في توجيهات من عشرة صفحات في يونيو ٢٠١٧ وقَّعها تشو هايلون - المسؤول الأمني الأعلى في شينجيانغ وقتها - وصفُ للهجمات الإرهابية الأخيرة في بريطانيا بأنها "تحذير ودرس لنا"، وإلقاء باللوم على الحكومة البريطانية "لتركيزها المفرط على 'حقوق الإنسان مقدَّمة على الأمن' وعدم كفاية الضوابط المفروضة ضد انتشار التطرف على الإنترنت وفي المجتمع".

كما اشتُكي فيها من ثغرات أمنية في شينجيانغ، من ضمنها التحقيقات الضعيفة، والأعطال في معدات المراقبة، وعدم احتجاز الأشخاص المتهمين بسلوك مشبوه.

وردت أوامر في وثائق التوجيهات بأن تستمر الاعتقالات، جاء فيها: "تقيدوا باعتقال كل من ينبغي اعتقاله... إن كانوا هناك، فاعتقلوهم".

عدد الأشخاص الذين تم سَوقهم إلى المعسكرات ما يزال سراً تحت الحراسة المشددة. إلا أن إحدى الوثائق التي سُرِّبت تعطي إشارة لحجم الحملة: فيها تعليمات للموظفين بمنع انتشار الأمراض المعدية في المرافق المزدحمة.

كانت الأوامر ملحَّة ومثيرة للجدل بشكل خاص في مقاطعة ياركاند، وهي مجموعة من البلدات والقرى الريفية في جنوب شينجيانغ التي فيها تقريباً كامل السكان البالغ عددهم تسعمائة ألف نسمة من الإيغور.



في خطابات عام ٢٠١٤ ، أشار السيد شي جين بينغ إلى جنوب شينجيانغ بالتحديد كخط المواجهة في كفاحه ضد التطرف الديني. يشكل الإيغور ما يقرب من تسعين في المائة من السكان في الجنوب، مقارنة مع أقل من النصف في شينجيانغ عموماً، وقد حدد السيد شي جين بينغ هدفاً طويل الأجل لجذب المزيد من مستوطني عرق الهان الصينيين.

وأظهرت الوثائق أنه هو وزعماء الحزب الآخرين أمروا منظمة شبه عسكرية وهي شركة شينجيانغ للإنتاج والبناء بتسريع الجهود لتوطين المنطقة بمزيد من طائفة الهان الصينيين.

وفقاً لتقارير حكومية، بعد بضعة أشهر هاجم أكثر من مائة من مسلحي الإيغور يحملون فؤوساً وسكاكين مكتباً حكومياً ومركزاً للشرطة في ياركاند، فقتلوا سبعة وثلاثين شخصاً. قَتَلت قوات الأمن تسعة وخمسين مهاجماً في المعركة حسبما ذكرت التقارير.

●● عُيِّن مسؤول يدعى وانغ يونغ تشي لإدارة ياركاند بعد ذلك بوقت قصير. كان يبدو بنظارته وقَصَّة شعره القصيرة وكأنه صورةٌ معبِّرة لتكنوقراطيٍ في الحزب. نشأ وقضى حياته المهنية في جنوب شينجيانغ وكان يُرى مسؤولاً متمرساً قادراً على إنجاز الأولويات العليا للحزب في المنطقة: التنمية الاقتصادية والسيطرة المُحكَمة على الإيغور.

لكن من بين المستندات الأكثر كشفاً للأمور في الأوراق المسربة وثيقتان تصفان سقوط السيد وانغ - تقرير من إحدى عشرة صفحة يلخص التحقيق الداخلي للحزب بخصوص تصرفاته، ونصٌ لاعترافٍ من خمس عشرة صفحة قد يكون أدلى به تحت الإكراه. وُزِّع كل منهما داخل الحزب كتحذير للموظفين لينصاعوا للحملة.

يعمل مسؤولون من الهان كالسيد وانغ مرساةً للحزب في جنوب شينجيانغ، يراقبون موظفين من الإيغور في مناصب أدنى، ويبدو أنه يستمتع بمباركة كبار القادة، بمن فيهم يو تشنغ شنغ، الذي كان آنذاك أكبر مسؤول صيني مكلف بالقضايا العرقية، وقد زار المقاطعة في عام ٢٠١٥.

بدأ السيـد وانـغ بتعزيز الأمن في ياركاند، لكنه دفع أيضاً بالتنمية الاقتصادية لمعالجة الاستياء العرقي، وسعى لتخفيف حدة السياسات الدينية للحزب معلناً أن لا حرج من وجود القرآن في المنزل ومشجعاً موظفي الحزب على قراءته لفهم تقاليد الإيغور بشكل أفضل.

عنـدمـا بدأت الاعتقالات الجماعية، فعل السيد وانغ كما قيل له في البداية وظهر عليه أنه تبنَّى المهمة بحماس.

فقد بنى مركزين شاسعين للاحتجاز، واحد منها بمساحة خمسين ملعب كرة سلة، واقتاد إليهما عشرين ألف شخص.

وزاد من تمويل قوات الأمن بسرعة إلى حدٍّ كبير في عام ٢٠١٧ .. زاد الإنفاق إلى أكثر من الضعف على مصارف مثل المراقبة ونقاط التفتيش لتصل إلى **١.٣٧** مليار رينمينبي.. ما يعادل مائة وثمانون مليون دولار.

وجعل أعضاء الحزب يصطفون في تجمُّع في ساحة عامة وحثهم على المضي في الحرب ضد الإرهابيين. قال: "أبيدوهم بالكلية... اقضوا عليهم كلهم".



لكن كان لدى السيد وانغ مخاوف على المستوى الشخصي، وفقاً للاعتراف الذي وقعه لاحقاً، والذي كان سيفحصه الحزب بعناية.

كان يتعرض لضغوط شديدة لمنع اندلاع أعمال عنف في ياركاند، وكان قلقاً من أن تؤدي حملة القمع إلى رد فعل عنيف.

حددت السلطات أهدافاً عددية لاعتقالات الإيغور في أجزاء من شينجيانغ، وفي حين لم يكن واضحاً ما إذا كانوا قد فعلوا ذلك في ياركاند، شعر السيد وانغ بأن الأوامر لم تترك مجالاً للاعتدال وستسمِّم العلاقات العرقية في المقاطعة.

كما أنه كان قلقاً من أن الاعتقالات الجماعية ستجعل من المستحيل تحقيق التقدم الاقتصادي الذي كان يحتاجه لكسب ترقية.

حددت القيادة أهدافا للتخفيف من حدة الفقر في شينجيانغ. ولكن مع إرسال الكثير ممَّن هم في سن العمل إلى المعسكرات، كان السيد وانغ يخشى أن تكون الأهداف بعيدة المنال.. مع آماله في الحصول على وظيفة أفضل.

وكَتَبَ أن رؤساءه كانوا "مفرطين في الطموح وغير واقعيين".

وأضاف أن "السياسات والتدابير التي اتخذتها المستويات العليا من القيادة كانت على خلاف مع الوقائع على الأرض ولا يمكن تنفيذها بالكامل".

وللمساعدة في إنفاذ حملة القمع في جنوب شينجيانغ، قام السيد تشين كوانغو بنقل المئات من الموظفين من الشمال. على المستوى العلني، رحب السيد وانغ بالموظفين المكلفين بـ ياركاند والبالغ عددهم اثنين وستين موظفاً. وعلى المستوى الشخصي، كان مغتاظاً لكونهم لم يفهموا كيفية العمل مع الموظفين المحليين والسكان.

كان الضغط مستمراً بلا هوادة على الموظفين في شينجيانغ لاحتجاز الإيغور ومنع أعمال عنف جديدة، وقال السيد وانغ في اعترافه - الذي يُحتمل أنه أدلى به تحت الضغط - أنه شرب الخمر أثناء العمل. ووصف حادثةً انهار فيها من السُكْر خلال اجتماع بخصوص الأمن.

وقال: "أثناء تقديم تقرير عن عملي في الجلسة المسائية، تحدثت بكلام غير مترابط... لقد تحدثت ببضع جمل فقط وانهار رأسي على الطاولة. أصبحَتْ تلك الواقعة أكبر نكتة في جميع أنحاء المقاطعة ".

عوقب الآلاف من الموظفين في شينجيانغ لمقاومتهم أو إخفاقهم في إنفاذ الحملة بحماسة كافية. وتشير الوثائق إلى أن موظفين إيغور اتُّهموا بحماية زملائهم من الإيغور، وسُجن غو وين شنغ - زعيم طائفة الهان في مقاطعة جنوبية أخرى - لمحاولته إبطاء عمليات الاعتقال وحماية موظفين إيغور.

سافرت فِرَق سرية من المحققين في جميع أنحاء المنطقة للتعرف على من لم يقوموا بما فيه الكفاية. وتشير إحصائيات رسمية أن الحزب فتح في عام ٢٠١٧ أكثر من اثنَي عشر ألف تحقيق مع أعضاء في الحزب في شينجيانغ بسبب مخالفات في "الحرب ضد الانفصالية"، أي ما يزيد عن عدد التحقيقات في العام السابق بعشرين ضعفاً.

قد يكون السيد وانغ ذهب أبعد من أي مسؤول آخر.



أمر سِرَّاً بالإفراج عن أكثر من سبعة آلاف من نزلاء المعسكر - وهو عملُ فيه تحدٍّ وسيُعتقل بسببه ويُجرَّد من سلطته ويُحاكَم.

وقد كتب السيد وانغ قائلاً: "لقد قمت بإجراءات تخفيفية وتصرفت اختياريَّاً وقمت بتعديلاتي معتقداً أن إلقاء القبض على الكثير من الناس سيؤدي إلى إثارة الصراع وزيادة الاستياء عن معرفة مسبقة".

وأضاف: "بدون موافقة مسبقة وبمبادرةٍ مني.. خرقت القوانين".

تحدٍّ صريح

اختفى السيد وانغ عن الأنظار بصَمت بعد سبتمبر ٢٠١٧ .

بعد حوالي ستة أشهر جعل الحزب منه عبرة معلناً أن تحقيقاً كان يُجرى معه بسبب "عصيانه الخطير لاستراتيجية القيادة المركزية للحزب لحكم شينجيانغ".

كان التقرير الداخلي بخصوص التحقيق أكثر صراحة، جاء فيه: "كان ينبغي أن يبذل قصارى جهده لخدمة الحزب.. لكنه بدلاً من ذلك تجاهل إستراتيجية القيادة المركزية للحزب في شينجيانغ، ومضى بذلك لدرجة التحدِّي الصريح".

قُرِئ كل من التقرير واعتراف السيد وانغ بصوت عالٍ للموظفين في جميع أنحاء شينجيانغ. كانت الرسالة واضحة: لن يتسامح الحزب مع أي تردد في تنفيذ الاعتقالات الجماعية.

ووصفت منافذُ دعائية السيد وانج بأنه فاسد لدرجةٍ لا يمكن إصلاحها، واتهمه التقرير الداخلي بتلقي رشاوٍ على صفقات بناء ومناجم ودفْعِ أموال لرؤسائه للحصول على ترقيات.

وأكدت السلطات أيضاً أنه ليس صديقاً للإيغور. ولتحقيق أهداف الحد من الفقر، قيل إنه أجبر ألفاً وخمسمائة أسرة على الانتقال إلى شقق غير مزودة بالتدفئة في منتصف فصل الشتاء. وورد في اعترافه أن بعض القرويين أحرقوا الحطب في منازلهم للتدفئة مما أدى إلى إصابات ووفيات.

إلا أن أعظم خطيئة سياسية للسيد وانغ لم يُكشَف عنها على العلن. وبدلاً من ذلك، أبقت السلطات عليها مخفيَّة في التقرير الداخلي، وهي: "لقد رفض إلقاء القبض على كل من ينبغي القبض عليه".



العرب في تسع سنين

كرم الحفيان

مقدمة

"تطل علينا في شهر ديسمبر الحالي من عام ٢٠١٩ م، وبالتحديد في اليوم السابع عشر الذكرى التاسعة لولادة أعظم ثورات العرب منذ قرن على الأقل، أعني ما عرف بالربيع العربي، في وقتٍ ظن فيه الكثيرون أن الثورة ماتت ولم يبق إلا القبر و مراسم الدفن الحزينة المصحوبة بأنهار الدموع والدماء والدمار المادي والنفسي، انتفضت الثورة حية في موجة ثانية هادرة وبنفس الاتجاه والتسلسل الجغرافي الممتد من الغرب للشرق، فالبداية كانت من الجزائر على حدود تونس، ثم الانتقال إلى السودان جنوب مصر، ثم الوصول إلى العراق ولبنان بجوار سورية."

وبانضمام هذه البلاد والساحات الجديدة الكبيرة والهامّة لحضن الثورة، نستطيع أن نقول إن مخطط إحباط الشعوب المتطلعة للحرية عبر وحشية الأنظمة العسكرية وتدخل قوى الاحتلال العالمية لم يفلحا في تخويف من لم يثر سابقاً (دول الموجة الثانية) ولا في حسم ساحات الموجة الأولى (وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ).

ما يهمنا هنا هو رصد التغيرات الهائلة في البنية الاجتماعية والنفسية والفكرية للشعوب العربية الثائرة في تسع سنين، وقد لخصناها في تسع نقاط رئيسة وسنتناول في هذه المقالة النقاط الثلاث الأولى:

(١) ظاهرة البداوة الحديثة وانكسار العقيدة الجبرية

(٢) تعرية آلة القمع الكبرى وحصن الأنظمة

(٣) عودة العصبية القبلية والمناطقية

(٤) نشأة جيل في غياب تسلط الطغاة

(٥) فشل نظرية "تأديب" الشعوب بمصير العراق وسورية

(٦) وحدة الشعور والأمل بين الشعوب الثائرة

(٧) انحسار الخطاب والمشاريع الطائفية

(٨) المراجعات الفكرية الميدانية وتلاقح الأفكار

(٩) كشف وزن وأداء التيارات العلمانية شعبياً وثورياً.

(١) ظاهرة البداوة الحديثة وانكسار العقيدة الجبرية

●● قال ابن خلدون واصفاً أهل المدن: «أهل الحضر ألقوا جنوبهم على مهاد الراحة والدعة... ووكلوا أمرهم في المدافعة عن أموالهم وأنفسهم إلى واليهم.. قد ألقوا السلاح وتوالت على ذلك منهم الأجيال وتنزلوا منزلة النساء والصبيان الذين هم عيالٌ على أبي مثواهم حتى صار ذلك خلقاً يتنزل منزلة الطبيعة». وفي المقابل ذكر من صفات البدو أنهم «دائماً يحملون السلاح ويتلفتون عن كل جانبٍ في الطرق.. ويتوجسون للنبآت

[أي الأصوات الخفية] والهيعات..واثقين بأنفسهم قد صار البأس لهم خلقاً والشجاعة سجيةً".

وما أعنيه بالبداوة الحديثة هو تحول حمل السلاح واستخدامه إلى سجية وطبع عند شرائح واسعة ممن كانوا «مدنيين» في البلاد التي شهدت ثورات مسلحة ضد أنظمة الحكم، حتى في المناطق التي حدثت فيها تسوية ومصالحة مع الأنظمة.



ونأخذ الحالة السورية كمثال، فهذه مناطق المصالحات، وفي مقدمتها محافظة درعا (مهد الثورة) وبعد مرور أكثر من عام على سيطرة النظام بمساعدة المحتلين الروس والإيرانيين عليها، وشنَّه لاعتقالات وتصفيات كثيرة في صفوف الثوار= تشهد هذه المناطق في الأشهر الأخيرة عمليات عسكرية شبه يومية ضد نقاط النظام وحواجزه العسكرية واغتيالات مستمرة لعملائه، إضافةً إلى تكرر حالة (الاشتباك أثناء محاولات الاعتقال)، التي تنتهي إما بقتلى وجرحي من الطرفين وأحياناً أسرى، وإما بفشل عملية الاعتقال بعد استنفار الثوار بأسلحتهم الخفيفة وتطويقهم لدوريات المداهمة وإخضاعها وأحياناً انتزاع أسلحتهم منهم، أو الانتشار الميداني للثوار المسلحين في الشوارع والطرق الرئيسة ومطالبتهم بالأسرى، وشنهم لهجمات في حال عدم إطلاق سراحهم.

وهذا مؤشر مهم لتحول مجتمعي يبدو أنه في طريقه ليكون عميقاً وراسخاً في المناطق التي خرجت لسنوات عن سيطرة الأنظمة.

وبعيداً عن هزيمة أو خيانة أو انحراف بعض الفصائل أو القيادات الثورية، وبغض النظر عن الاتفاقات الدولية، فإن قطاعات كبيرة من المجتمعات الثائرة ألفت استخدام السلاح وذاقت حلاوة الدفاع عن النفس والنيل ممن يعتدي عليها (البداوة الحديثة) وستنتج هذه المجتمعات لا محالة هياكل جديدة لمقاومة الاستبداد والاحتلال بالطرق الشرعية وفي طليعتها القوة المسلحة.

وبالتزامن مع الحــراك المسلح عادت الاحتجاجات الشعبية الواسعة المناهضة للنظام وللاحتلال الإيراني والروسي لواجهة الأحداث في الجنوب السوري، إضافة إلى الانتفاضات الشعبية الكبيرة الرافضة لعودة النظام لمحافظات الشرق السوري، لتؤكد جميع المعطيات السابقة على بدء انكسار العقيدة الجبرية التي طغت على الشعوب قبل الثورات، وملخصها أن الأنظمة الحاكمة قدر محتوم لا مفر ولا فكاك منه.

(٢) تعرية آلة القمع الكبرى وحصن الأنظمة

" قبل ثورات الربيع العربي، كان هناك اعتقاد عام عند جزء كبير من الشعوب إن لم يكن أغلبها أن مشكلة وأزمة بلادنا تكمن في فساد وعمالة مجموعة من الأشخاص تولوا مناصب الرئاسة أو الملك، إضافةً إلى الدائرة القريبة المحيطة بهم من أُسر أو شخصيات محدودة العدد. وكان هناك خوف عام وكره شديد للأجهزة الأمنية من شرطة ومباحث ومخابرات لظلمها وبطشها وتضييقها على الناس. "

أما الجيش فكان ينظر له من الكثيرين على أنه مؤسسة لا تتدخل في حياة الناس العامة، وما فيها من خلل وفساد فهو مقتصر أيضاً على أفراد وقادة، كأي مؤسسة أو شركة حكومية أو خاصة.

●● أما وقد هلَّ الربيع العربي، فإن من بركاته إظهار حقيقة ووزن أعداء الشعوب والأمة. لقد أظهرت الثورة أن الجيوش هي أس البلاء السياسي والاقتصادي والاجتماعي، وأنها الحاكم الحقيقي باسم القوى العالمية المهيمنة، والحصن الحصين الأخير للأنظمة الفاسدة والعميلة، التي أصبحت مؤسسات كاملة عابثة بحياة وأمن ودين المواطنين، ولا يمكن اختزالها في أشخاص الرؤساء والحكومات الحاكمة.



أمر آخر يضاف إلى رصيد الربيع العربي في تسع سنين، هو نسف الأسطورة القائلة إن هناك جيوشاً طائفية في بعض الدول كسورية والعراق، وجيوشاً غير طائفية في دول أخرى كمصر وليبيا وغيرهما، والحقيقة أن الجيوش العربية المعاصرة خاصةً في الدول الكبيرة والمؤثرة، هي طوائف كاملة مستقلة بذاتها، طوائف لها مبادئها ولوائحها وعقيدتها ومصالحها التي تقاتل من أجلها، ويقتل أفرادها حتى أقرب المقربين لهم عندما تأتيهم الأوامر العليا.

وفي هذا السياق، لا يفوتنا أن نثني على الأحرار الأباة الذين انشقوا عن هذه الجيوش المجرمة، وانحازوا لأهلهم وشعبهم، وكان لهم دور معنوي وفعلي هام في التصدي لإجرامها في سورية وليبيا وغيرهما، جزاهم الله خيراً وكتب الله أجرهم.

(٣) تفعيل العصبية القبائلية والمناطقية

منذ قيامها بعد الرحيل الشكلي للاستعمار في القرن الماضي، حرصت الأنظمة العربية المتعددة على تفتيت المجتمع إلى أفراد، وتمزيق أي روابط مجتمعية قوية متصلة بجغرافيا واحدة، وعلى رأسها روابط الدم والرحم، خاصةً في العواصم والمدن الكبرى، لعلمها بمتانة وتماسك هذه الرابطة وقدرتها على تحقيق توازن قوى مع السلطة الحاكمة، ولا يخفى الدور التاريخي الكبير للقبائل في الحضارة الإسلامية منذ عهد النبي عليه الصلاة والسلام فالخلفاء الراشدون مروراً بالحقبة الأموية فالعباسية ثم العثمانية وصولاً إلى القبائل المقاومة للاستعمار من الشام للمغرب في القرن العشرين.



●● وفي أثناء سني الثورات، رأينا قدرة الجيوش المنظمة (وأحياناً الأجهزة الأمنية فقط) على تفريق الحشود الجماهيرية المليونية الضخمة وصعوبة تجميعها بنفس الزخم من جديد لعدم وجود رابط مشبك لملايين الأفراد وضامن لتضامنهم في المدلهمات، في ما رأينا قدرة أكبر للعصبيات القبائلية والارتباطات المناطقية الأقل عدداً على اتخاذ قرار مواجهة الجيوش والتسلح لطردها من مدنها وأريافها.

ظهر هذا بقوة مع القبائل الليبية حين أيدت الثورة على القذافي وقاتلته، ثم الثورة السورية التي كانت شرارة انطلاقتها انتفاضة عشائر درعا عقب إهانة وفدها المطالب بإطلاق سراح الأطفال المعتقلين لدى الأجهزة الأمنية، ثم دور العشائر العراقية السنية ومسلحيها في «ثورة المحافظات الست» بين عامي ٢٠١٢ و٢٠١٤ م، وما نتج عنها من السيطرة على عدة مدن عراقية عقب طرد قوات الحكومة المركزية وريثة الاحتلال الأمريكي، ومثله يقال في قبائل اليمن، وحتى في قبائل سيناء.

بيد أنه بقيت ثلاث مسائل محورية في موضوع القبائلية والمناطقية:

(١) عدم بروز قيادات قبائلية أو مناطقية قوية تحمل طموحاً ومشروعاً سياسياً

(٢) تفرق القبائل والمناطق وتناحرها

(٣) "أن العرب لا يحصل لهم الملك إلا بصبغة دينية من نبوة أو ولاية أو أثر عظيم من الدين على الجملة".

العبارة الأخيرة لابن خلدون وإن كانت قيلت في البدو إلا أنه باستنطاق التاريخ تنطبق على سائر العرب، والنبوة قد ختمت، وبقيت الولاية والأثر الديني العظيم اللازم لقيامة العرب المسلمين وتحررهم الحقيقي من الاحتلال الخارجي وموظفيه في الداخل.

خاتمة

قرن وبضعة أعوام مرت على ما سميت بالثورة العربية الكبرى، تلك التي استهدفت نفوذ الدولة العثمانية وأسهمت في إطلاق رصاصة الرحمة على آخر رمز سياسي وحضاري جامع للمسلمين، بتحريض وتخطيط غربي وعلى

وجه التحديد إنجليزي، لتقوم بعده دول قومية حامية لمصالح الغرب وقاهرة لشعوبها ومحاربة لدينها.



قامت الثورة العربية الحقيقية منذ تسع سنين، وهي كبرى بحق، وما زال لديها الكثير لتقدمه، وهذه المقالة وما بعدها، هي محاولة لتسليط الضوء على التغيرات الاجتماعية والنفسية العميقة التي أحدثتها هذه الثورات في الشعوب الثائرة وغيرها، والتي ربما لا تظهر لمن يحصر تركيزه في مراقبة الأحداث العامة ومواكبة التطورات الميدانية والسياسية اليومية.

الناتو العربي

والتحالفات العسكرية في المنطقة

محمود جمال



مقدمة:

نقلت وكالة «رويترز» منذ فترة عن مصادر مطلعة أن مصر نأت بنفسها عن الجهود الأمريكية لتشكيل «ناتو عربي» على غرار حلف شمال الأطلسي هدفه «التصدي» لسياسات طهران.

ووفقا للمصادر، فإن مصر قد أبلغت قرارها للولايات المتحدة والأطراف الأخرى المعنية بالتحالف الأمني في الشرق الأوسط المقترح، قبل اجتماع عقد في الرياض. وأضافت أن القاهرة لم ترسل وفدها إلى الاجتماع الأخير الرامي لدفع الجهود التي تقودها واشنطن لجمع الحلفاء العرب في معاهدة أمنية وسياسية واقتصادية للتصدي لإيران.

ونقلت الوكالة حسب مصادر بأن مصر انسحبت لتشككها في جدية المبادرة، فهي لم تر بعد خطة أولية تحدد ملامح هذا التحالف، ولأن وضع خطة مثل هذه ينطوي عليه خطر زيادة التوتر مع إيران.

وحسب الوكالة، فإن الغموض المحيط بما إذا كان الرئيس ترامب سيفوز بولاية ثانية العام القادم، واحتمال أن يتخلى من يخلفه عن المبادرة عاملان ساهما في اتخاذ مصر القرار، فيما قال مصدر سعودي عن المبادرة «إنها لا تسير كما ينبغي».

وتعمل إدارة الرئيس الأمريكي دونالد ترامب على وضع أسس لتشكيل «تحالف الاستراتيجي في الشرق الأوسط» (وهو الاسم الرسمي لما أطلق عليه «الناتو العربي»)، الذي يفترض أن يشمل وفقا للمخططات الأمريكية ست دول خليجية عربية هي البحرين وقطر والكويت والإمارات وعمان والسعودية، إضافة إلى مصر والأردن.

وقام وزير الخارجية الأمريكي مايك بومبيو بجولة في هذه الدول مطلع العام، سعيا منه إلى التقريب بين الدول الثماني الأعضاء المحتملين في هذا التحالف.

أولاً: الناتو العربي.. نشأة الفكرة

استضافت مصر فعاليات التدريب المشترك «درع العرب -١» والذي نفذ لأول مرة بجمهورية مصر العربية في المدة من ٣ - ١٦ نوفمبر ٢٠١٨ بقاعدة محمد

نجيب العسكرية، ومناطق التدريبات الجوية والبحرية المشتركة بنطاق البحر المتوسط. وشارك في التدريب عناصر من القوات البرية والبحرية والجوية وقوات الدفاع الجوي والقوات الخاصة لكلٍ من مصر والسعودية والإمارات والكويت والبحرين والأردن، كما شاركت كل من (المغرب، لبنان) بصفة مراقب.



وفي تعليقها على تدريبات "درع العرب 1" قالت وكالة رويترز الأمريكية[7] : «إن التدريبات العسكرية المشتركة هي خطوة قد تتطور لتصبح معاهدة إقليمية لمكافحة النفوذ الإيراني المتنامي في منطقة الشرق الأوسط". وأضافت: "أن الرئيس الأمريكي دونالد ترامب يدفع الدول الخليجية- جنبا إلى جنب مع كل من مصر والأردن- باتجاه تشكيل ما يطلق عليه بعض المسؤولين في البيت الأبيض بـ"الناتو العربي ASEM الذي يتألف من الحلفاء في العالم السني، للوقوف يداً واحدة أمام القوة الإيرانية التي تسعى إلى التغلغل في المنطقة". وكذلك مواجهة الحركات المسلحة التي تحمل أفكاراً جهادية بشكل عام.

وكان نائب مساعد وزير الخارجية الأميركي لشؤون الخليج العربي، تيم ليندركينغ، قد قام خلال شهر سبتمبر ٢٠١٨ بجولات دبلوماسية في الخليج، بهدف وضع الأسس لقمة تستضيفها الولايات المتحدة في شهر يناير المقبل لإطلاق تحالف الشرق الأوسط الاستراتيجي "ميسا" كمفهوم يحاكي حلف الناتو.[8] وأوضح ليندركينغ في مقابلة مع صحيفة "ذا ناشيونال" الإماراتية أنّ التحالف يضم الولايات المتحدة والدول الأعضاء في مجلس التعاون الخليجي (السعودية والإمارات والكويت والبحرين وقطر وعمان) إضافة لمصر والأردن.

"وقال ليندركينغ: إن وزير الخارجية الأميركية مايك بومبيو استضاف لقاءً يجمع دول مجلس التعاون الخليجي ومصر والأردن على هامش الجمعية العامة للأمم المتحدة للتحضير للقمة المزمع عقدها في يناير ٢٠١٩ م، مُنَوهاً بأن هذه المحادثات لا تزال في مراحلها المبكرة وإذا وجدنا أن هناك حاجة إلى تغيير التواريخ، فسوف نتعاطى مع هذا الأمر بمرونة". "

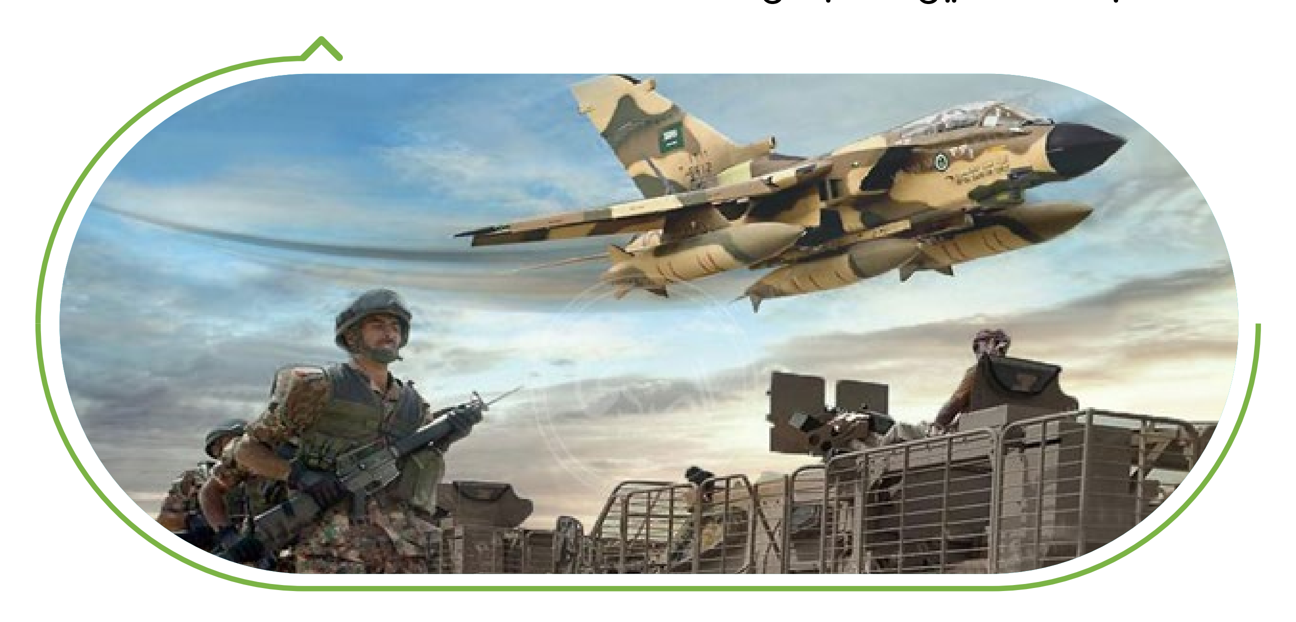
وأوضح ليندركينغ أن هذا التحالف "يعود لقمة الرياض في العام ٢٠١٧ حين اتفق الجميع على أن الولايات المتحدة ودول مجلس التعاون الخليجي ستجتمع على أساس سنوي.. إضافة إلى الاهتمام المشترك وتطلع كلا الجانبين لبناء هذا التحالف (ميسا)، الذي سيقوم على أساس اتفاقية أمنية واقتصادية وسياسية تربط دول مجلس التعاون الخليجي والولايات المتحدة ومصر والأردن".

وعلى الرغم من الخلافات الموجودة بين دول "مجلس التعاون" حالياً، قال ليندركينغ إنّ فكرة التحالف تكمن في كونه يبني درعاً قوياً وصلباً في وجه التهديدات ضد الخليج، وأشار في هذا الصدد إلى إيران وأيضاً إلى المخاوف المتعلقة بالشبكة العنكبوتية والهجمات على البنى التحتية وتنسيق عملية إدارة الصراعات من سوريا وصولاً إلى اليمن، مؤكداً على أنّ إيران تتصدر قائمة التهديدات. وأشار ليندركينغ إلى الأزمة داخل مجلس التعاون الخليجي والمتعلقة بقطر، وقال: "على المدى البعيد، وفي ظل التحالف الذي نصبو إليه، سيكون من الصعب خوض بلدين أو ثلاثة في التحالف مواجهة من هذا النوع.. لذا يمكننا مواصلة تطوير المفهوم والعمل على بعض الأسس، إلا أنّه في نهاية المطاف، ينبغي لنا أن نشهد رأباً للصدع ".

ثانياً: التحالفات العسكرية بعد الربيع العربي:

منذ اندلاع ثورات الربيع العربي وإلى اليوم، لم تبارح فكرة إنشاء هيكل أمني إقليمي لمواجهة التهديدات الأمنية التي تواجه الدول والأنظمة الحاكمة عقول القادة العرب، وبرزت عدة محاولات منذ عام ٢٠١٣ م، وهي على النحو التالي:

(١) الناتو الخليجي: وكانت تلك المحاولة بحلول نهاية عام ٢٠١٣ م، إذ طرحت دول الخليج مشروعاً للدفاع المشترك يضم دول مجلس التعاون الخليجي إضافة إلى الأردن والمغرب، تحت قيادة سعودية ممثلة في الأمير متعِب بن عبد الله قائد الحرس الوطني السعودي في ذلك التوقيت. ولكن التحالف المقترح واجه مجموعة من العقبات التي أدت إلى فشله في النهاية، وذلك بداية من الخلافات السياسية داخل مجلس التعاون الخليجي، سواء على الموقف من حركة الإخوان المسلمين التي لا تراها الدولة القطرية تمثلاً تهديداً، وتراها الإمارات والسعودية تهديدا لنظاميهما، أو الموقف من إيران التي تراها السعودية والإمارات تهديداً عكس بقية أعضاء التحالف المقترحين خاصة دولة سلطنة عمان، مروراً بالمواقف المختلفة حول النظام السوري والفصائل السورية، ووصولاً إلى تردد الأردن والمغرب في دعم طموحات الرياض العسكرية رغم اصطفافهما ظاهريا مع الأخيرة، فضلاً عن التعقيدات التشغيلية المرتبطة بتباين المعدات العسكرية، واختلاف العقيدة القتالية، وعدم وجود أنظمة اتصالات قابلة للتشغيل المتبادل.



(٢) التحالف العربي لقيادة عاصفة الحزم: وهذا هو الاسم الذي استخدمته السعودية في الفترة الأولى (بين ٢٥ مارس و ٢١ أبريل عام ٢٠١٥) من التدخل العسكري الذي قادته في اليمن، للإشارة للنشاط العسكري الذي تمثل بغارات جوية ضد جماعة الحوثيين وقوات علي عبد الله صالح المتحالف معهم، والتي

شنها تحالف من عشر دول بقيادة السعودية، إذ ضم التحالف إلى جانب السعودية كل من البحرين والكويت وقطر والإمارات العربية المتحدة ومصر والأردن والمغرب والسودان وباكستان؛ ثم أطلقت السعودية على العمليات اللاحقة لـ ٢١ أبريل ٢٠١٥ اسم "عملية إعادة الأمل".

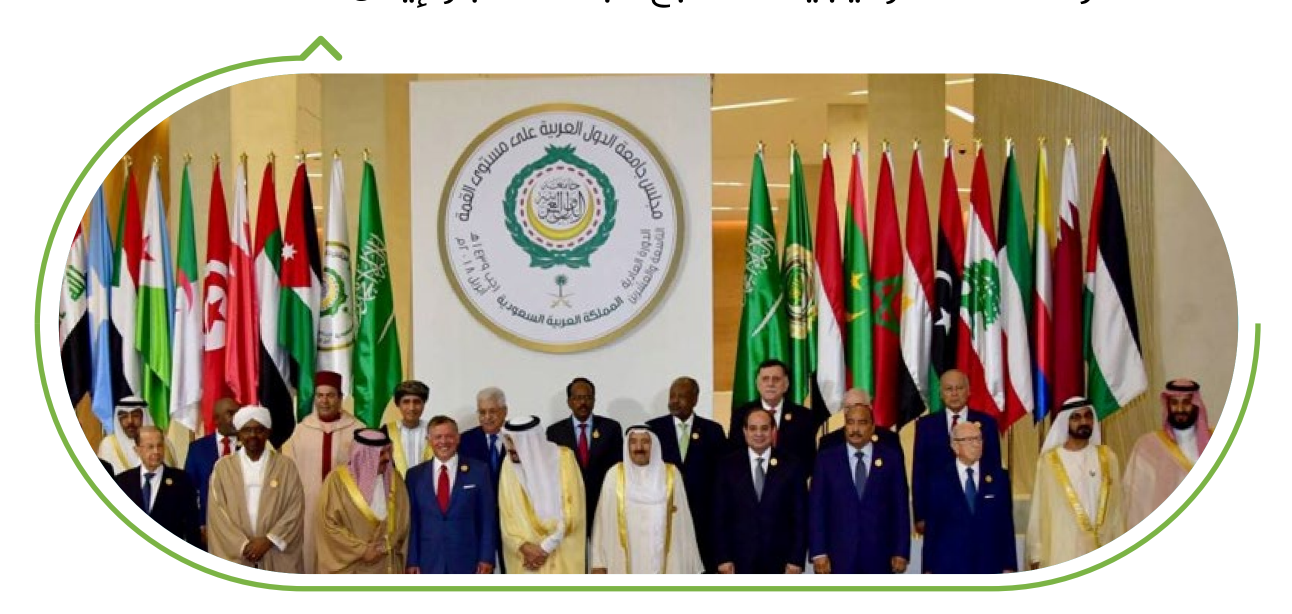
وشُكل التحالف بالأساس لمواجهة الحوثيين ومحاولة السيطرة على الأوضاع وعودة الحكومة الشرعية "حكومة الرئيس عبد ربه منصور هادي" للسيطرة على الأراضي اليمنية التي أصبحت تحت سيطرة جماعة الحوثيين؛ ولكن التحالف فشل في تحقيق مبتغاه، ولا يزال الحوثيون مسيطرين حتى الآن على معظم الأراضي اليمنية بما في ذلك العاصمة اليمنية صنعاء.

جدير بالذكر أن السعودية كانت تعول في بداية إنشاء التحالف على الدور المصري وخصوصا التدخل العسكري البري وربما تصريح اللواء أحمد العسيري المتحدث السابق باسم قوات التحالف يدل علي هذا؛ إذ كشف "عسيري" أن السيسي عرض على السعودية وعلى التحالف أن تضع الحكومة المصرية قوات على الأرض، وأضاف أن الجيش المصري يشارك الآن مع قوات التحالف في الجهد البحري والجهد الجوي فقط، ولكن في ذلك الوقت كنا نتكلم عن ٣٠ إلى ٤٠ ألف جندي كقوة برية بالإضافة إلى القوات السعودية الموجودة على الحدود وغيرها من القوات التي ترغب في أن نتشارك في العمل البري.

وأدى تراجع الجيش المصري آنذاك عن إرسال الجنود إلى اليمن إلى توتر في العلاقات بين مصر والسعودية، مما دفع السعودية إلى معاقبة النظام المصري اقتصاديا بإيقاف إمداد مصر بالمواد النفطية في عام ٢٠١٦ م.

وترك تراجع الجيش المصري عن المشاركة البرية أثراً سلبياً على أداء التحالف في تحقيق أهدافه المرغوبة. وحتى تتدارك السعودية الموقف لجأت إل الجيش الباكستاني حتى يشارك بعدد من الجنود في التدخل البري العسكري في المعارك داخل اليمن، ولكن أبدى الجيش الباكستاني بعد ذلك تحفظه علي

الأمر وطلب أن تكون مشاركته في التحالف فقط جوياً وبحرياً، مما دفع السعودية إلى اللجوء للدولة السودانية التي تمتلك جيشاً ليس علي مستوى الجيش المصري أو الجيش الباكستاني في الإمكانيات، وشاركت بالفعل دولة السودان وأرسلت قوات وجنودًا إلى الداخل اليمني للمشاركة في المعارك بين قوات التحالف وقوات الحوثيين ولكن إلى الآن تتلقى القوات السودانية خسائر كبيرة في صفوف جنودها، وبسبب ذلك تتعالى الدعوات في الداخل السوداني لسحب قواتها من الداخل اليمني للحفاظ علي أرواح جنودها، جدير بالذكر أيضا أن السعودية والإمارات استعانوا بقوات من المرتزقة "بلاك ووتر"، كي تقاتل في اليمن لمساعدة قوات الجيش اليمني التابع لحكومة "هادي" والقوات السودانية المشاركة في الحرب وذلك حسب دراسة صادرة عن "مركز بيغن السادات للدراسات الاستراتيجية"، التابع لجامعة "بار إيلان".



(٣) القوة العربية المشتركة: في نهاية القمة العربية السادسة والعشرين التي انعقدت في شرم الشيخ في أبريل ٢٠١٥ ، صدر بيان موحد عن تأسيس قوة عربية مشتركة لمواجهة تحديات الأمن الإقليمي. وكانت الدوافع الرئيسية وراء المبادرة العربية للقوة التي كان مقررا - وفقا لما أوردته مجلة فورين بوليسي- أن تضم ٤٠ ألفا من جنود النخبة من مصر والأردن والمغرب والسعودية والسودان ودول الخليج، بما يشمل قوة جوية مكونة من ألف شخص، و ٥٠٠٠ شخص لسلاح الخدمات البحرية، و53 ألفا من القوات البرية، على أن تتولى

القاهرة التزويد بمعظم المقاتلين، وتتكفل الرياض بمصاريف القوة، واقترح أن يكون مقرها القاهرة وأن تخضع لقيادة سعودية أو التناوب على قيادتها بين القاهرة والرياض. ولكن مثلها مثل المحاولة السابقة لم تر القوة العربية النور بسبب الخلافات حول القيادة بين القاهرة والرياض من جهة، وبسبب الجدل حول الهدف من إنشاء القوة من جهة أخرى، وبسبب المعوقات اللوجستية من جهة ثالثة، وذهب المشروع إلى النسيان.

(٤) التحالف الإسلامي الذي شكل في ١٥ ديسمبر ٢٠١٥ والذي تكون من ٤١ دولة، هي: السعودية، وأفغانستان، والإمارات العربية، والأردن، وأوغندا، وباكستان، والبحرين، وبروناي، وبنغلاديش، وبنين، وبوركينا فاسو، وتركيا، وتشاد، وتوغو، وتونس، وجيبوتي، وساحل العاج، والسنغال، والسودان، وسيراليون، والصومال، وسلطنة عمان، والغابون، وغامبيا، وغينيا، وغينيا بيساو، وفلسطين، وجزر القمر، والكويت، وقطر، ولبنان، وليبيا، والمالديف، ومالي، وماليزيا، ومصر، والمغرب، وموريتانيا، والنيجر، ونيجيريا، واليمن. وأعلن وقتها ولي العهد السعودي محمد بن سلمان أن هدف التحالف هو تنسيق الجهود ضد المتطرفين في العراق، وسوريا، وليبيا، ومصر، وأفغانستان.

وتضمن بيان الإعلان أن أعضاء التحالف يتحالفون في أربعة مجالات لتنسيق جهودها في محاربة الإرهاب، وهي:

(١) المجال الفكري: ويهدف إلى المحافظة على عالمية رسالة الإسلام، مع التأكيد على المبادئ والقيم الإسلامية، والتصدي لأطروحات الفكر الإرهابي، وإحداث الأثر الفكري والنفسي والاجتماعي لتصحيح المفاهيم الإرهابية المتطرفة.

(٢) المجال الإعلامي: ويهدف إلى الإسهام في تطوير وإنتاج ونشر محتوى تحريري واقعي، وعلمي، لاستخدامه في منصات التواصل والقنوات الإعلامية من أجل فضح وهزيمة الدعاية الإعلامية للجماعات المتطرفة.



(٣) مجال محاربة تمويل الإرهاب: بالعمل على قطع تمويل الإرهاب وتجفيف منابعه، وتوفير الموارد الكافية لمحاربته، بجانب التواصل والتنسيق مع الجهات الدولية لملاحقة ممولي الإرهاب، وتمويل المبادرات التي تحاربه.

(٤) المجال العسكري: وفيه العمل على دعم التنسيق العسكري العملياتي بين الأعضاء لمواجهة الإرهاب، بجانب تدريب وتأهيل الوحدات الخاصة للدول الأعضاء المنخرطة في محاربة الإرهاب، وردع التنظيمات الإرهابية من خلال التنسيق العسكري لدول التحالف.

ويقود هذا التحالف الآن الجنرال الباكستاني رحيل شريف، وتأسس مركز للتحالف في العاصمة السعودية الرياض، ولكن منذ نشأة هذا التحالف لم يقم بالدور المنوط به وأصبح اسماً فقط، ومن حين إلى آخر تجتمع قيادات تلك الدول لمناقشة تطورات الأوضاع في المنطقة، وربما كان السبب الأهم في عدم فعالية ذلك التحالف هو التنازع بين الرياض والقاهرة على قيادة التحالف، والذي أرغم الرياض في نهاية الأمر على المجيء بقائد باكستاني ليكون على رأس هذا التحالف، مما أدى إلى تخفيض تمثيل القاهرة في المؤتمرات السنوية الذي يعقدها التحالف في الرياض، فشاركت مصر في أول اجتماع للدول المشاركة في التحالف، في الرياض في مارس ٢٠١٦ م، ورأس الوفد المصري آنذاك رئيس الأركان السابق الفريق محمود حجازي.

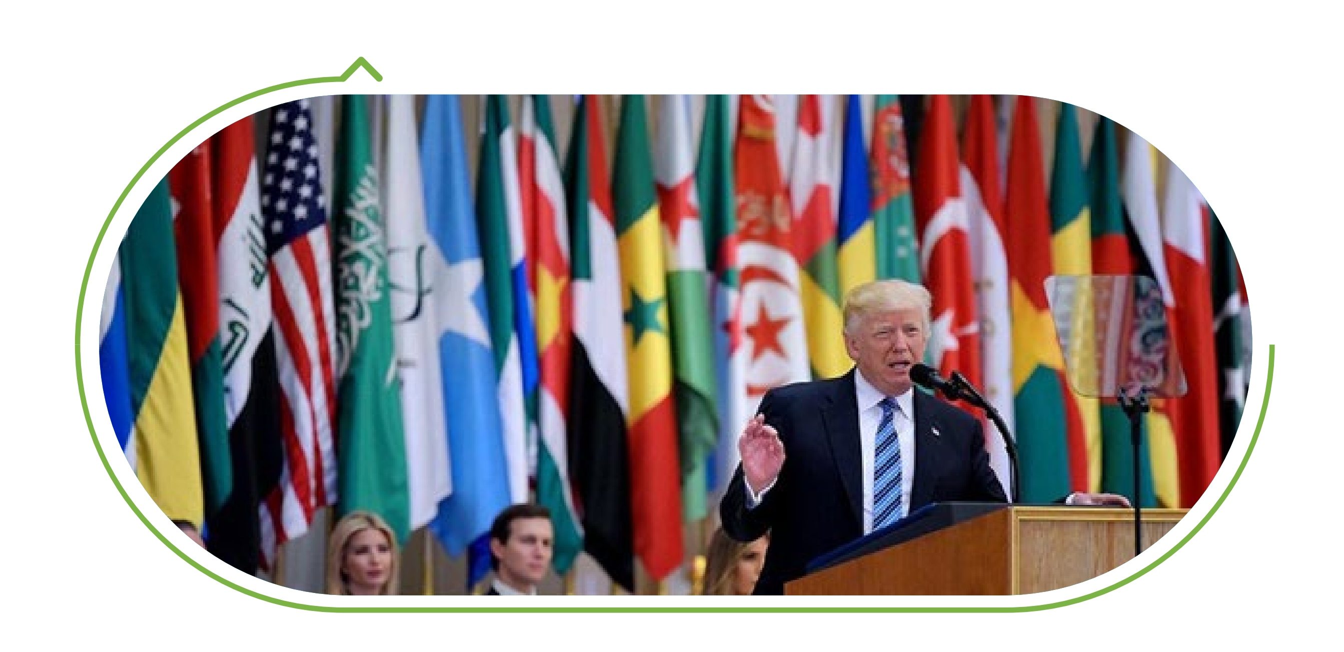
ولكن في اجتماع نوفمبر ٢٠١٧ ، اكتفت مصر بحضور وفد بقيادة رئيس هيئة العمليات السابق ومساعد وزير الدفاع الحالي توحيد توفيق (٥) وشاركه كل من اللواء ا.ح محمد صلاح مدير إدارة الأزمات، واللواء ا.ح طارق المالح، مساعد مدير المخابرات الحربية، وعميد ا.ح إيهاب الشيخ ملحق الدفاع المصري بالسعودية، ووزير مفوض خالد عزمي مدير إدارة مكافحة الإرهاب بوزارة الخارجية . وجاء هذا الاجتماع بعد تعيين رحيل شريف قائداً لهذا التحالف، حيث نقضت الرياض اتفاقها مع النظام المصري بأن قائد قوات التحالف في تلك الفترة سيكون مصرياً. وذهب البعض إلى أن السعودية لم تعط القيادة لمصر بسبب ضعف الدور المصري في عملية "عاصفة الحزم" بل تراجع الجيش المصري عن التدخل العسكري كما ذكرنا سابقاً.

ثالثاً: بين المعوقات والإمكانيات

على الرغم من أن تطورات الأوضاع في منطقة الشرق الأوسط ليست ملائمة لتشكيل مثل هذا التحالف وتُشكل تحدياً على أن يكون لهذا التحالف دور جاد وفعال، وخاصة في ظل الأزمة الخليجية ومحاصرة دولة قطر من كلٍ من السعودية والإمارات ومصر والبحرين، وتداعيات قضية اغتيال الصحفي السعودي جمال خاشقجي، هذا بجانب تحدٍ آخر من الممكن أن يكون سبباً في عدم إمكانية تشكيل وتشغيل هذا التحالف المزعوم، وهو بحسب صحيفة "واشنطن تايمز" الأمريكية أن بعض دول مجلس التعاون الخليجي لديها علاقات متميزة مع إيران؛ ففي الوقت الذي اتخذت السعودية والإمارات موقفاً متشدداً تجاه طهران، فإن الكويت تريد علاقات أفضل معها". يضاف إلى ذلك أن سلطنة عمان لديها علاقات متميزة مع النظام الإيراني، وحتى بالنسبة لدولة الإمارات فهناك بعض الجهات بداخلها لها علاقات اقتصادية وتجارية حيوية مع إيران. كما أن الأزمة التي افتعلتها السعودية والإمارات ضد قطر، دفعت بالأخيرة إلى التقارب مع إيران وتركيا".

كما أن تركيا ترى تهديداً أمنياً لها في إقامة مثل هذا التحالف، على خلفية الدور الذي قيل إنه يمكن القيام به لدعم الوجود الكردي شمال سوريا، وهو ما يمثل تهديداً استراتيجيا لتركيا. وفي ظل التحالف القائم الآن بين تركيا وقطر، يصعب تصور أن تدخل قطر في تحالف لن ترضى عنه تركيا في الوقت الراهن، كما أن أمريكا أيضاً لن يمكنها دعم مثل هذا التحالف إذا عارضته تركيا صراحة.

فيما تمثل إسرائيل تحدياً في إقامة أي تحالفات في المنطقة، ولكن إذا كان ذلك التحالف تحت المظلة الأمريكية فربما توافق إسرائيل لأنه سيراعي المصالح الإسرائيلية ولن يؤثر بأي شكل من الأشكال على أهدافها.





أخيراً:

إن فكرة الناتو العربي، رغم كل التحديات التي تواجهها، من داخل الدول التي يمكن أن تشارك فيها، أو من داخل طبيعة التطورات الإقليمية في المنطقة، فإن الجزء الأكبر من إمكانية تطبيق الفكرة، ولو مرحلياً يرتبط بالموقف الفعلي للولايات المتحدة، ومدى حرصها على ذلك في ظل حجم التأثير الذي تمارسه على الدول التي تستهدفها بالانضمام لهذا الكيان.



د. عبد الله النفيسي بين سيرتين

أحمد الحمدان

في الفترة الأخيرة، كثر سؤال (هل شاهدت لقاءات النفيسي في برنامج الصندوق الأسود؟)

تكرر هذا السؤال من كذا طرف ومن أشخاص ربما لا اهتمام لهم بالسياسة، أثار لدي الفضول، وتحتم علي تحت هذا الإلحاح المتصاعد أن أمهد لمشاهدته، واضرب عصفورين بحجر.

فقرأت كتاب (من أيام العمر الماضي) كمدخل لهذه المقابلات، خصوصاً أن الكتاب يقف عند فترة زمنية معينة ولا يتجاوزها وهي (بدايات الغزو العراقي للكويت)، فقلت من الجيد أن أقرأ هذا الكتاب لمقصدين، وهي أن أجعله مقدمة لمشاهدة اللقاء، وأكمل ما وقف عنده الكتاب، وأن أقارن ما بين أسلوب (الكتابة) و(الإلقاء) في التدوين.

وبعد أن أنهيت الكتاب، تصفحت في وجوه مكتبتي، لأختار الكتاب القادم، فظهر لي كتاب آخر عن سيرة النفيسي وهو للصحفي السعودي علي العميم (النفيسي رجل الفكرة والتقلبات.. سيرة غير تبجيليّة). فقلت في نفسي إن لم أقرأ هذا الكتاب الآن فلن أقرأه في قادم الأيام، هذه فرصة أن أضرب الحديد وهو ساخن.

وبعد أن أنهيت كتاب العميم، أتت في ذهني عبارتان، الأولى **(لم أرَ منك خيراً قط)** ورأيت أن هذا اللفظ يصلح عنواناً للكتاب، فالكتاب باختصار هو تجميع لسقطات الرجل وإن لم توجد سقطات اختلقها لك اختلاقاً، ولا يقف عند ما هو منصوص بل يستنطق ما لم يدل عليه النص! ويخرجه عن مداه وحده ومدلوله ليقول لك في النهاية: هذا هو تاريخ النفيسي!

وزد على ذلك الجزم فيما يتعلق بواطن النيات (النفيسي يقصد كذا والنفيسي فعل كذا لأجل كذا).

فرأيت أن هذا الكتاب حتى وإن أتى بنقدٍ موضوعي في بعض الجزئيات، إلا أن ما يعكره عموماً هو النفسية الناقمة التي تجعل من القارئ متعاطفاً مع الشخص المنقود أكثر من أن يتقبل هذا النقد وإن كان صحيحًا، ومن تصفح خانة المراجعات على موقع (SDEARDOOG) ورأى تعليقات القرّاء خلصَ الى نفس النتيجة.

أما العبارة الأخرى فهي: **(إن لم تكتب تاريخك كتبه غيرك)**. وأحياناً تلك الكتابة قد تكون المصدر الوحيد المتوفر عنك، ومع شح المصادر قد يضطر الباحث اضطراراً أن يعتمد عليها في تقريب الصورة. وهذا الخطأ غالبًا ما يقع فيه المؤثرون وأصحاب التجارب، فالبعض يقع في ورع بارد وسخيف، ليقول لك: من أنا حتى أكتب مذكراتي؟! مظهراً شيئاً من ورعه وتواضعه في غير موضعه.

فالمتردية والنطيحة قد كتبوا مذكراتهم وحتى من لا تأثير له ومن لا قيمة له، فلماذا يسترخص الشخص نفسه ويجعلها في مقام أقل من مقام هؤلاء؟! ثم إن لم تكتبها لهذا السبب، اكتبها بدافع حب الخير للآخرين على الأقل! فالشخص الذي مر بتجارب وسقطات وأخطاء من الجيد أن ينبه الناس عليها، فاكتب هذه المذكرات وما فيها محاولاً استنقاذ كل من يمكن استنقاذه! وأن تقي من كان بإمكانه أن يقع في نفس المطب الذي وقعت به.



الآن، بعدما كتب النفيسي مذكراته، بالله عليك من يريد أن يقتني كتاب علي العميم؟ فالماء يغني عن التيمم، فكتاب النفيسي هو بالضرورة إزاحة للكتاب الآخر.

حسناً، هل أصاب علي العميم في «بعض» انتقاداته للنفيسي؟ الجواب: نعم.

"كنا نقول ولا زلنا نقول، أن (العقيدة والفقه والحديث إلخ ...) مقدمة على الفكر الإسلامي، لأنها تحدد المسار وتضبطه، فحينئذ الشخص يضبط الفكر بناءً على النص ومخرجاته، ولكن إذا لم يكن يعرف النصوص كيف يمكن أن يضبط الفكر؟ ولا يلزم أن يتخصص الشخص في كل العلوم بل يكفي الإلمام بالأساسيات."

النفيسي لم تتهيأ له الفرصة لأن يؤسس نفسه شرعياً، ودخل المعترك الإسلامي من البوابة الحزبية والعمل الطلابي ابتداءً. وهذا له أثره في اضطراب النفيسي، وهذا الاضطراب أوضحه العميم في عرضه لكتابين صدرا بنفس العام (عندما يحكم الإسلام) و(مجلس التعاون الخليجي .. الإطار السياسي والاستراتيجي) ببيان أوجه التعارض وعدم التزام النفيسي بكلامه الأوّل.

وأظن أن ما يمكن أن يُضاف هو تغيّر آليات التغيير المحبذة لدى النفيسي عبر امتداد الوقت، وهذا لا يجزم به ولكن يلتمس من مدحه للتنظيمات، فأولًا مارس السياسة عبر البرلمان ثم آمن أنها طريق غير سوي لتطبيق الإسلام وأن من يظن ذلك هو واهم، ثم نصحه لحماس عدم دخول السياسة والاستمرار بالقتال والجهاد (سنة ٢٠٠٥)، ثم في وقت لاحق قال الحل هي القاعدة وليست حماس (سنة ٢٠٠٩)، ثم في نهاية المطاف خلص أن النموذج الأقرب هو نموذج حزب العدالة والتنمية في تركيا (سنة ٢٠١٧).

التغير في تبني آليات التغيير قد لا يتم عن إيمان جازم بها أو قناعة تامة، وهذا سبب التغير من عمل سياسي ثم ثوري أو جهادي ثم سياسي بوجهٍ آخر. ولكن نحن نتكلم عن كتاب (من أيام العمر الماضي) الذي ربما يكون من أواخر كتبه التي تمثل خلاصة فكره، وقد ذكر فيه أن التغيير يجب أن يكون من الأسفل، وأن إيمان الناس بأفكار معينة هو ما يفرض على من هم في الأعلى تطبيق توجهات من هم بالأسفل.

وهذا قول مثالي لا واقعي، والسبب أنه لا توجد دولة سوف تتركك تبث أفكارك ومبادئك في الناس حتى تكون لك قاعدة جماهيرية كبيرة تضغط عليها وتؤثر عليها وتجعلها تطبق الإسلام وتحكم الشريعة وتبث العدل وتقضي على المحسوبية والفساد، فالحكومات مستعدة أن تبذل الغالي والنفيس من أجل أن تعزلك عن الجمهور وأن تجعل أثرك محدوداً أو أن تشوه صورتك وتغتالك إعلامياً إن أبيت الانصياع أو تعتقلك، فالخلاصة أن الدولة لها أدوات وأساليب

تُلغي أي محاولة تأثير وضغط وتركيع لها. وجميع الحركات الإسلامية التي حاولت التغيير من الأسفل لابد أن تسأل نفسها ماذا كانت النتيجة بعد مرور عقود من هذا التصور؟! لم يزدَدِ الناس إلا بُعداً، فأنت تبني والدولة بسياساتها تهدم فكأنك تحرث في الماء.



وكتاب علي العميم عن النفيسي نشر عام ٢٠١٢ ، وهو مستل من كتابه الضخم الآخر (شيء من النقد شيء من التاريخ: آراء في الحداثة والصحوة وفي الليبرالية واليسار)، وجزئية النفيسي هذه كتبها عبر حلقات في مجلة (المجلة) من أكتوبر/٢٠٠٤ عبر ثلاث حلقات، أي أنها بعد ظهور عبد الله النفيسي المتكرر على قناة الجزيرة في فترة الأحداث في السعودية سنة ٢٠٠٣-٢٠٠٤ وانتقاده المتكرر للسعودية. ربما هذا الكتاب هو ردة فعل على هذه اللقاءات؛ فالكتاب لم يصدر حديثًا وهذا واضح من المقدمة من أجل ذلك تراه لم يضمن العديد من المواقف والتصريحات التي قالها النفيسي بعد ٢٠٠٤ والتي قد تصب في خانة انتقادات المؤلف.

حسناً، علي العميم كما يظهر أنه شخص مُطّلع، وناقد، ولكنه متكلف، ولا يكتفي بالظاهر أحياناً للحكم بل ينبش عن الباطن ولا يكتفي بالظن بل يجزم أن مقصده كذا!

ولكـن كتابه سلط الضوء على أمور ربما النفيسي لم يفصّل فيها في مذكراته لاحقاً، وهي العلاقة مع جماعة جهيمان. وهذه الجزئية على وجه الخصوص شطحَ فيها بعيداً عن النفيسي؛ إذ هي زاوية نقد مشترك ما بين النفيسي واليسار المتمثل بدار الطليعة ومن يدعمها، فاستطرد هنا بنقد اليسار والازدواجية في أحكامه وأفعاله.

أمـا كتاب الدكتور عبد الله النفيسي (من أيام العمر الماضي) ويقع في (١٨٤) صفحة من طبعة مكتبة آفاق الكويتية التي طبعت الكثير من كتب النفيسي، وهي للأسف مكتبة سيئة الإخراج، لا تُكلِف نفسها تدقيق النص بل تطبعه بأخطائهِ كما أرسله المؤلف.

وهي الجزء الأول من مذكراته وانتهت تقريباً مع حل مجلس «الأمة» وبداية الغزو العراقي، فلم يذكر النفيسي مشاهدته في الغزو العراقي بقدر ما أجاب على سؤال وهو عنوان الفصل الأخير (الغزو العراقي للكويت: هل كان مفاجأة)؟ والذي برهن فيه أن الغزو لم يكن مفاجئًا بل هنالك شواهد حسية حقيقة لاستعداد العراق لغزو الكويت، وقد تجاهلتها الحكومة الكويتية وأدت في النهاية الى هذه الكارثة.

هذه المذكرات لم يبدأ فيها النفيسي منذ النشأة والجذور العائلية وتاريخ العائلة، بل أول ما بدأ بهِ هو رحلته في (مدرسة فكتوريا) الإنجليزية في مصر منذ **١٩٥١** الى **١٩٦١** (أنهى المراحل التعليمية الثلاث فيها).

يقـول النفيسـي إن مستوى التعليم في هذه المدرسة ليس بالجودة المطلوبة ولم يكن هو الهدف الرئيس من هذه المدرسة، بل الهدف من تأسيس مدارس كهذه هو إنشاء جيل موالٍ للثقافة الغربية ولكن بأسماء عربية، فكانت هذه المدرسة حريصة على أن يكون التعلّم كله بالإنجليزي وأن تُدرّس الثقافة الغربية في الأدب والفن، وتُعاقِب بصرامة من ضُبِطَ وهو يتكلم بالعربية مع زميله وتلزم الطالب كعقاب له أن يكتب (I must not speak Arabic) مئة أو مئتي مرة، مما يجعل يد الطالب تخدر من كثرة التكرار فيحرّم الكلام بالعربية.

وهذا ما جعل النفيسي ينشأ نشأة جاهلة جهلاً مركباً في الدين واللغة العربية، فسنوات التأسيس الأولى قضاها في جو بعيد عن الدين وعن الثقافة، وهذا ما جعله يجاوز العاشرة وهو لا يعرف الوضوء ولا يحفظ شيئًا من القرآن، ولا يعرف أساسيات اللغة العربية، مما أبعد عنه فرصة الدخول إلى الأزهر أو كلية الشريعة في دمشق في وقت لاحق.



ويستفيد الشخص من هذه التجارب، أن قذف الطالب في مدارس خاصة ذات توجه غربي محض، دون حتى رعاية ولا مراقبة ولا توجيه، غالباً لن يخرج الشخص إلا غربياً أكثر من الغربيين أنفسهم، جاهلًا بثقافته محتقراً لها، لا يعرف أساسيات دينه ولا لغته ولا يربطه بهذه الأمة رابط طالما فقد الشخص أدوات التواصل معها.

والخط العريض لهذه المذكرات هي السيرة التعليمية والسياسية على وجهٍ خاص، لذلك لا تجد ذكراً للعائلة وأفرادها ولا قصة الزواج ولا طريقة تنشئة الأبناء (كما هو الحال في رحلة الدكتور عبد الوهاب المسيري)، فكان خط المذكرات للنفيسي يبدأ من الدراسة في مصر ثم إنجلترا (مانشستر) ثم قفل راجعاً الى الكويت، ثم الدراسة في لبنان ثم الدكتوراة في إنجلترا، ثم التدريس في الكويت وفي أحد المعاهد البريطانية، ثم جامعة العين الإماراتية ثم الدخول في البرلمان ثم الغزو العراقي.

أسلوب النفيسي في الطرح «أسلوب شعبوي»، فهو يتكلم في مسائل معقدة باللهجة العامية، لذا تجد جمهورًا عريضًا له، لأنه يتكلم في أمور معقدة بأسلوب يفهمه الكثير. وبالأخص الأفراد غير المتخصصين في هذا المجال وهم جمهور الناس. (وحبذا لو تراجع كلام أحمد سمير في كتابه «معركة الأحرار» عن نجاعة هذا الأسلوب).

وهذا الأسلوب الشعوبي لا يخلو من طرافة، ولا يخلو من الكلام بالعامية وعدم الالتزام بالنص الفصيح وهذا ما يجعل غير الكويتي أو الخليجي لا يفهم ما المقصود من بعض الحوارت مثل ما هو موجود في ملحق الصور، استغرب النفيسي من نشاط أحد كبار السن العمانيين، فسأله عن سر ذلك فقال له (وخر عن الأ ل الدسم والنسا) فرد عليه النفيسي: (هذه ايدة) فالرجل الكبير يقول له ابتعد عن الأكل الدسم والنساء فالنفيسي يقول هذه صعبة وعلى هذا قس.

ويظهر لي أن هذه المذكرات هي من كتابة النفيسي شخصياً، أي أنها ليست نتائج سلسلة لقاءات صوتية ثم تفريغها على شكل كتاب. وعادةً من سلك هذا المسلك تضعف لياقته مع طول الأحداث وتفاصيلها. فتجد في بداية الكتاب تفاصيل كثيرة وفي نهايته اختصارًا وقفزًا على المراحل. تستطيع أن تقارن مثلًا مواضيع الطرح في هذا الكتاب وسلسلة لقاءات في (الصندوق الأسود) تجد أن النفيسي في اللقاءات المرئية أكثر انبساطا وتفصيلاً من الكتاب.

حسناً، في فترة مانشستر، تخصص النفيسي في دراسة الطب وأبلى بلاءً حسناً، ولكن أقدار الله شاءت أن يترك هذا كلياً بقصة حصلت له، وهي مروره على محل لبيع الكتب المستعملة ورؤيته كتاباً مستعملاً اسمه (لماذا لستُ مسيحياً) للفيليسوف برتراند راسل، فكان يُنظّر لفكرة الإلحاد من هذا الكتاب في نقد الأديان والمسيحية على وجه الخصوص. أدى هذا إلى زرع بذرة الشك لدى النفيسي، الذي لم يجد بُداً من الرجوع إلى الكويت وترك الدراسة وخسران البعثة، من أجل القراءة عن الإسلام. ومن هنا يعرف الشخص أهمية برامج

(صناعة المحاور) التي تقي الشخص مثل هذه المزالق وتختصر عليه الطريق والوقت والجهد.

وفي فترة بيروت عندما التحق النفيسي ببعثة لدراسة العلوم السياسية في الجامعة الأمريكية، كانت تلك الحقبة تموج بالحراك السياسي والطلابي، ويذكر النفيسي هنا مفارقة بين بيروت ومانشستر فيقول: (وفجأة ارتفع صوت الأذان من مسجد قريب في بيروت.. فاغرورقت عيني من الفرح، وتذكرت مانشستر حيث لا يسمع هذا الصوت).



تكرار الأذان وحضوره الدائم يجعلك لا تعرف قيمته إلا إذا سكنت في مكان تبقى فيه بالشهور والسنوات لا تسمعه. فالأذان نعمة لا يُقدّر البعض قيمتها إلا بفقدانها.

وفي تلك الحقبة احتك النفيسي بجهابذة القومية العربية واليسار في هيئة التدريس بالجامعة الأمريكية في بيروت، من بينهم مؤرخ الحزب الشيوعي للعراق حنا بطاطو وفايز الصائغ وصادق جلال العظم وغيرهم، وكل هؤلاء وقعت له معهم قصة، ولعل أبرزها في نظري التي مع فايز الصائغ، والذي كلفه بجمع قرارات الأمم المتحدة المتعلقة بإسرائيل منذ ١٩٤٨ حتى ١٩٦٥ ، هذه التجربة أفادت النفيسي كثيراً فتراه يقول:

(كانت مهمة مفيدة لي شخصيًا لأنها أطلعتني على سُخف مقولة «الشرعية الدولية» و«القانون الدولي» و«المنظمة الدولية» وتفاهة القرارات الصادرة عنها، وأقنعتني هذه المهمة بأن سياسات القوة هي السائدة في العالم وأن اللهاث وراء سراب ميثاق الأمم المتحدة أو غيره من المواثيق ما هو إلا إطالة عمر الظلم الفادح الذي تتحمله الشعوب المستضعفة).

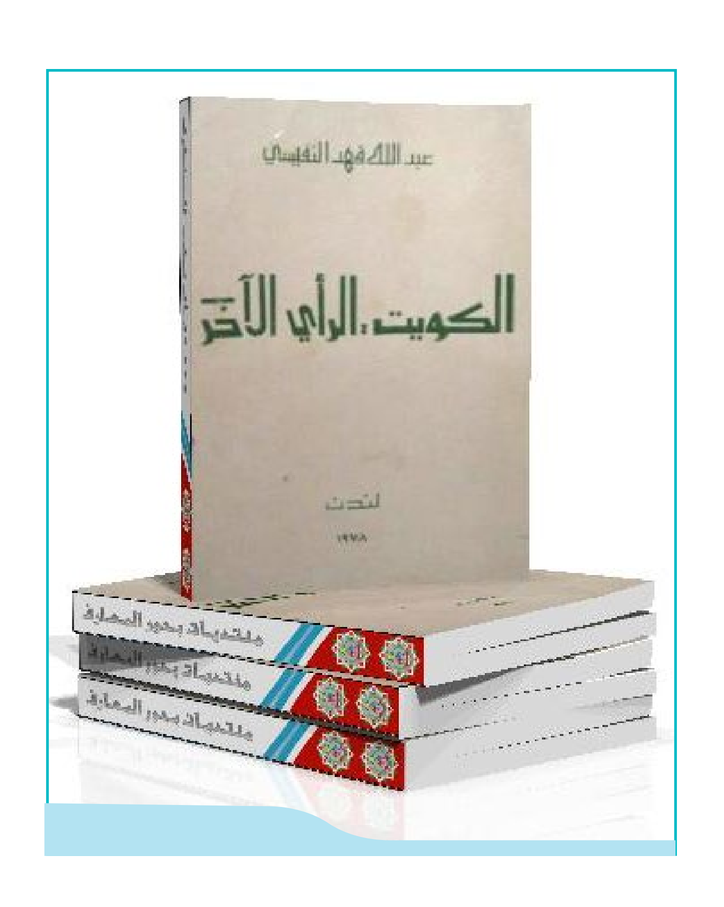
"البعض لا يريد أن يتعلم من تجارب من سبقوهُ للوصول إلى هذه النتيجة، لابد أن يمر بمرحلة تعليق الأمل بهم ثم يكتشف مع الوقت أنهم متواطئون أو في أحسن الأحوال سراب، رأس ماله الإنكار والشجب، الذي لا يغير من المعادلة شيئًا على الأرض."

حقاً كما قال أحدهم «منطق السياسة في أيامنا لا يحترم إلا أصحاب الأقدام الثقيلة». وحبذا لو ترجع إلى كتاب (تحت وابل النيران في سراييفو) للصحفي أحمد منصور، ورؤية موقف الساسة البوسنيين من دور الأمم المتحدة في الأزمة البوسنية.

في سوريا البعض احتاج سنوات ودماء وفاتورة كبيرة حتى يعلم أن ما يسمى بـ(أصدقاء سوريا) لا قيمة لهم ولا تأثير ولا نفع! وأن منظمة الأمم المتحدة لم تستطع أن تنقذ الناس من الحصار ولا أن تمنع القصف، ولم تستطع أن تفرض حصاراً حقيقياً على النظام حتى يسقط. ولا تجيد إلا التنديد والوعود الفارغة، وفي أي تجربة قادمة في المستقبل من يعلّق الأمل على هؤلاء فهو كمن اتكل ولم يتوكل.

إن تحرير فلسطين لن يتم إلا بعد التوصيف الحقيقي للدول الغربية، وأنهم في خندق العدو وليسوا وسطاء، فهؤلاء لم ولن يؤيدوك في تحرير فلسطين، بل أقصى أمانيهم هو التنديد ببعض ممارسات إسرائيل، ومن ظن غير ذلك فهو واهم.

وتكلم أيضًا النفيسي أنه بعدما أصدر كتابه (الكويت: الرأي الآخر) وسحب جوازه ومنعه من العمل، وبعد أحداث مطولة استطاع الذهاب إلى الإمارات، ومن خلال سرد النفيسي تستطيع أن تقارن بين الحريات السياسية الموجودة في الإمارات آنذاك وحالها الآن!



فقد أصبح أستاذاً جامعياً في مدينة العين الإماراتية، وقد طلبت منه وزارة الخارجية الإماراتية أن يشارك في ندوة عن منظمة مجلس التعاون الخليجي التي تأسست للتو، فرفض أن يشارك لأن رأيه نوعاً ما شديد حول هذه القضية، وقد أخبر الخارجية الإماراتية بذلك فرد عليه المندوب (الخارجية الإماراتية لا تُمانع أن تصدع برأيك ولو كان مخالفاً للرواية الرسمية).

وتكلم في هذه الندوة «وجلد هذه المنظمة جلدًا»، وأنها ليست إلا نزولاً على الرغبة الغربية في تأسيسها، ويكمل النفيسي قائلًا: (من الغد وفي الصباح الباكر اتصل بي السيد أحمد السويدي المستشار المقرب للشيخ زايد، وطلب مني تأجيل عودتي للعين إذ إنه يرغب في دعوتي إلى الغداء في منزله لتبليغي رسالة من الشيخ زايد: (فقال لي: الشيخ زايد يسلم عليك ومسرور جداً من المحاضرة ويقول زين سوّيت فيهم وأنت في ديرتك وبين أهلك). بل قال له وزير الخارجية الإماراتي د.سيف غباش [انتبه لهذا الاسم جيداً]: (يا أخي تعال عندنا واترك الكويت فنحن أحوج لأمثالك!).

الغريب أن في الندوة تكلم النفيسي عن مشكلة الندرة السكانية في دول الخليج (الإمارات على وجه التحديد) وعن استيراد عمالة أجنبية بكثرة، مما رجح الكفّة لصالح الوافدين الأجانب وجعلهم أغلبية كبيرة (ytirojam egral) فسأله د.سيف غباش ما الحل لمعالجة هذه المشكلة؟ فقال النفيسي: (الحل في اليمن، فاليمن فيه كثافة بشرية وفي الوقت نفسه اليمن قريب جغرافياً. لماذا لا تعمل الإمارات على استيراد العمالة اليمنية وهي عمالة أثبتت نجاحها في ميتشيجان «ديترويت» في الولايات المتحدة، وفي شيفيلد في إنجلترا، وثقافة اليمني وعاداته وأخلاقه ودينه ولغته قريبة جداً من المجتمع الخليجي، والبديل اليمني قطعًا أفضل من الكم الهائل من الفلبينيين والهنود والكوريين وغيرهم إلخ ...).

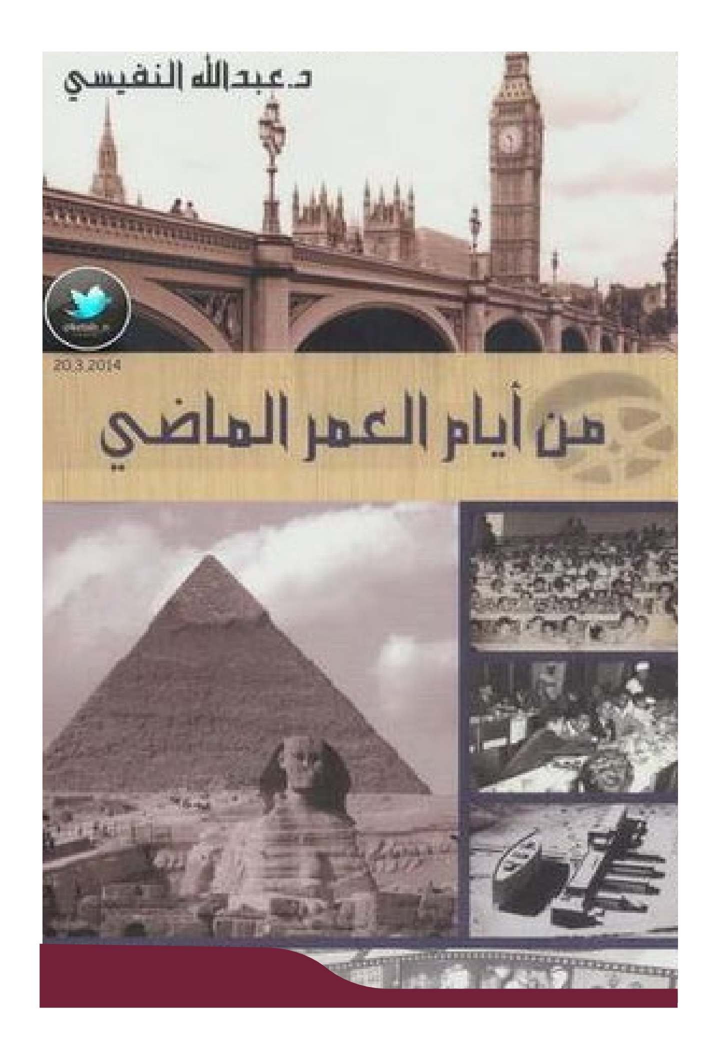
طيب ماذا كان الرد على المُقترح؟ يكمل النفيسي: (انشرح الدكتور سيف للفكرة وتحمس لها، ووعد بتفعيلها وطرحها على الشيخ زايد، وأظن أنه فعل، وأن الشيخ زايد وافق على هذا الحل كما علمت لاحقاً).

فأظن أن توطين الجالية اليمانية -الذي حصل في وقتٍ لاحق في الإمارات- كان على ضوء اقتراح النفيسي هذا.

وأيضًا كما يظهر من خلال الكتاب، أن من ينهمك في السياسة قد يزهد بشكلٍ أو بآخر في الأدب، أنا أرى ذلك ماثلًا في نفسي، كلما أكثرت القراءة في الفكر أو السياسة ابتعدتُ تدريجيًا عن الأدب الروائي، وقد رأيت أن هذا الزهد في ظل الحرارة السياسية قد يكون حاضرًا لدى غيري كذلك، مثل كلام النفيسي هذا: (تداولت مع د. سيف عدة مواضيع من ضمنها إعادة النظر كليًا في هيكل جامعة العين وتخصصاتها وكلياتها، فلسنا في الخليج -كل الخليج- بحاجة لدراسة شعر الغزل في العصر العباسي حتى نستورد المختصين بالغزل أو حتى الأدب والفن. هذه ميادين لا تهتم بها المجتمعات والدول إلا إذا استكملت بنيتها التحتية والفوقية).

الأولوية غالبًا ما تبعد الأدب وتجعله على ضفاف الاهتمامات.

ويُلاحظ تغير أحكام النفيسي على الرموز والشخصيات مع تقدّم الزمن، ففي كتابه القديم (عندما يحكم الإسلام) تراه ينقل الإجماع على كفر الحكام، وأنهم نصبوا بدعم القوى الكافرة المتربصة بالإسلام، وفي نفس الكتاب تراه يقول عن جهيمان العتيبي (جهيمان بن محمد بن سيف العتيبي ولإخوانه الأطهار الأبرار رحمهم الله وغفر لهم).



ولكن في كتاب (من أيام العمر الماضي) ترى الآية انقلبت، فهو يترحم على الحكام «الذين كفروا» (كالسادات وغيره) ويقول عن جيهمان (له عند الله ما يستحق)، وزد على ذلك حذف الكلام عن جهيمان في طبعة الكتابة الثالثة سنة ٢٠١١ فيما يبدو لي. وهنا لابد أن نفصل الشخصية عن مراحلها المتقدمة، فالنتاج الكلي هو ما استقرت عليه في ختام الأمر، وهو ينسخ ما سبق إن كان مخالفًا له. فالتغيّر قد لا يكون عيباً بحد ذاته، وإنما العيب قد يكون في كثرته.

وتكلم النفيسي أيضًا عن دخوله انتخابات مجلس الأمة (البرلمان الكويتي) وفوزه ودخوله برلمان عام **١٩٨٥** الذي حُل، وكان الحل بسبب ضغوطات خارجية على الكويت واشتداد المعركة بين إيران والعراق، فلم تكن الكويت -حسب وصف النفيسي- تنقصها مشاكل داخلية، فكان الحل «غير الدستوري» محاولة

منها لسد جهة ضغط داخلية للتفرغ لبقية الجبهات، والنفيسي في هذا الوقت تكلّم عن نقد ذاتي وقال إنه لم يكن هنالك داعٍ للضغط على الحكومة أكثر، وإن هذا الضغط حصل بسبب عدم وجود قنوات تواصل ومكاشفة حقيقية بين الحكومة والبرلمان، وأما التراجع الثاني قوله عن مرحلة البرلمان: (قراران في حياتي ندمت عليهما أيما ندم. الأول تركي دراسة الطب في مانشستر سنة ١٩٦٢ والثاني: دخولي مجلس الأمة سنة ١٩٨٥).

ثم طفق ينتقد أسلوب الحركات الإسلامية وأداءها السياسي، وهذا قد تطرق إليه بالتفصيل في كتابه (الحركة الإسلامية ثغرات في الطريق)، وكذا في برنامج (المقابلة) مع قناة الجزيرة سنة ٢٠١٧.

اللفتة الأبرز هو كلامه عن دواوين الإثنين، والديوان مجلس شعبي يجتمع فيه الناس للحوار والنقاش، وهو أشبه بالملتقى العام في بعض الدول الخليجية. أصبحت هذه الدواوين في الكويت بعد حل البرلمان سنة ١٩٨٥ هي الملتقى لتوجيه رسائل السخط على قرار الحكومة، وأصبحت مكاناً لمعارضة قرار الحكومة. فعقدت الندوات واللقاءات ضد هذا الحل.

اللافت للانتباه الحادثة التي حسب وصف النفيسي جعلته يغسل يده من الجماهير، يقول: (فبدأت الحديث بالقول إن الأمير لا يحق له حل المجلس بالطريقة التي تمت؛ لأن ذلك الحل هو حل غير دستوري ولأنه لم يحدد موعداً للانتخابات -ستين يوماً- كما ينص الدستور، وهذا أمرٌ مرفوض ولا ينبغي أن نقبل به).

ماذا حدث بعد أن قال النفيسي كلامه هذا؟

يقول: (فجأة ظهر صوت في الخلف عند مدخل الديوان قائلًا: أنا النقيب هزاع الصلال من أمن الدولة أطلب منك دكتور عبد الله أن تكف الكلام. فقلت له: أنا ضيف عند جاسم القطامي وهذا ديوانه ولست ضيفاً عندك، وإذا طلب جاسم

القطامي مني أن أكف عن الكلام فلا أمانع. فقال مندوب أمن الدولة لجاسم القطامي: أطلب من الدكتور عبد الله أن يكف عن الكلام. فقال لي جاسم القطامي: أكمل أبا مهند. فأكملت الحديث مواصلاً. فما كان من الصلال ومعه شرطيان إلا أن اخترقا الصفوف متوجهاً إلينا وعندما وصل إلينا طلب منّا مرافقته. الغريب في الأمر أن الجمهور كان متعاوناً مع الشرطة ومندوب أمن الدولة بطريقة وكأنها (تواطؤ)؛ لأنهم كانوا يفسحون الطريق لهم. ولم أسمع كلمة -مجرد كلمة!- احتجاج من هذا الجمهور الكثيف الذي قدّره جاسم القطامي فيما بعد بمفخر شويخ الصناعي ٧٠٠ مواطن كويتي.. لا أخفي القارئ أن موقف الجمهور في ديوان القطامي وهو موقف سلبي للغاية اتجاه القضية واتجاه صاحب الديوانية الذي استضافهم لنصف قرن ولم يعترضوا حتى لفظاً على اعتقاله، دفعني للتفكير العميق في طبيعة الكويتيين وخلصت إلى قناعة: ليسعك بيتك!).



هــذا الموقف يصلح كمقياس لشعوب الخليج كافة، فالشعب الكويتي هو الأوعى سياسياً والذي مارس السياسة عبر أحزاب وتكتلات، وكانت هنالك هوامش من الحرية غير موجودة في بقية الدول الخليجية. مما جعله الشعب الأوعى سياسياً، ومع ذلك خذلت الجموع النخبة في قضية هم يتفقون معها في مشروعيتها.

•• فـالشعـوب الخليجية من هذا النص ومن خلال مشاهدة عينية تتفق معك في المبدأ، ولكنها لا تمشي معك إلى نهاية الطريق. لياقتها ضعيفة، وهذا ما جعل جملة من النخب تشعر بالخذلان مما جعلهم ينكفئون على ذواتهم، ولا يطالبون بحقوق شعوب هي أول من يتخلى عنهم عند أول امتحان.

فشخّص كل التجارب السياسية في الدول الخليجية التي تحصل حدة الخصام بين الحكومة والمعارضة إلى ذروتها، وفتش عن الجمهور تجد النتيجة ماثلة أمام عينيك وهي أنهم انتقلوا من مرحلة التأييد إلى مرحلة التفرج، ربما الطائفة الوحيدة التي تُحامي عن نخبها هم الشيعة، وهذا مشاهد.

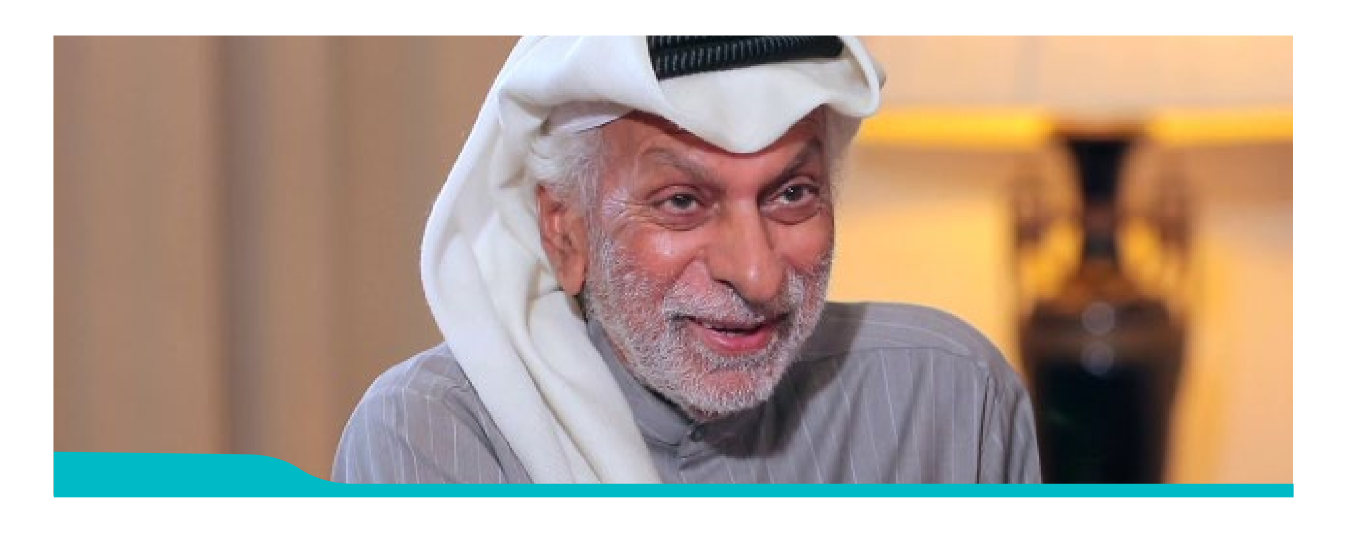
حسناً، الآن نرجع إلى اسم ذكره النفيسي وهو (الدكتور سيف غباش) وزير الخارجية الإماراتي. النفيسي يتكلم عن مرحلة تأسيس مجلس التعاون الذي أُنشئ عام **١٩٨١** بينما الدكتور سيف غباش اغتيل سنة **١٩٧٧**! فلا يعقل أن يشارك النفيسي في ندوة عن مجلس التعاون في سنة **١٩٨٣** ويلتقيه فيها الدكتور سيف بينما الدكتور سيف من المفترض أنه ميت قبلها **بـ٦** سنوات!

أيضًا لو رجعت إلى سلسلة (الصندوق الأسود) تجد شيئاً من هذا القبيل، فمثلًا تكلم عن لقائه مع الملا عمر في أفغانستان أواخر السبعينيات، ولكن الأرجح أنها حصلت في التسعينات، بدليل أنه في ندوة في سنة **٢٠٠٩** بعنوان (العرب قبل وبعد الحرب على غزة) ذكر تفاصيل متشابهة لهذا اللقاء، ولكن في الندوة تكملة وهي قوله: (أنا قابلت الملا عمر شخصياً وشرفت بذلك، وهو رجل ليس من هذا العصر، كان لا يستقبل الوفود الغربية يقول لهم اذهبوا إلى كابل قابلوا وزير الخارجية بينما أنا جالس هنا في قندهار)، فدلت هذه التكملة أن الملا عمر كان آنذاك أمير دولة ولديه وزير خارجية، وهذا لم يتحصل له إلا في مرحلة التسعينيات لا في أواخر السبعينيات التي كان فيها مجرد قائد عسكري عادي غير بارز، وهذا تجده في كتاب (حياتي مع الطالبان) للملا عبد السلام ضعيف سفير الطالبان في باكستان، وهو كتاب متوفر بالعربية بالمناسبة.

هذه النماذج تدل على أن الدكتور عبد الله مع تقدم العمر وكثرة الأحداث قد يخلط بين التواريخ والشخصيات أحياناً. وهذا أمر لا يسقط الشخص بالكلية؛ لأنه يحصل مع فطاحلة الحفّاظ، قد يقع لهم مثل هذا، فيحصل لديهم شيء من الاختلاط والوهم في الرواية، والمحدثون في تشخيصهم يقولون إن هذا مترادف مع الكبَر والتقدم في العمر في بعض الأحيان.

وأنا شخصياً قد جالست بعض كبار السن وسجلت لهم وهم يَروون شهاداتهم لبعض الأحداث والشخصيات التي مضت منذ وقتٍ بعيد، وقد رأيت أنهم يتذكرون الحدث ولكن يقع الوهم في تسمية المكان أو الشخص أو السنة، فمن خلال قراءات سابقة مؤرخة لا تلغي هذه الشهادة بل تعمل مقاربة لها من خلال ما هو مؤرشف في الوثائق والكتب التاريخية المعتمدة، فمن خلال أسلوب المقاربة بين الروايات تُثري الرواية التاريخية بدلًا من إلغائها جملة واحدة بحجة أن صاحبها يخلط أو يَهم في الأسماء أو السنوات.

وهذا يختلف جذريًا -بلا شك- عمن يكذب متعمداً أو يُدلّس متعمداً، فمثل هذا لا تؤخذ روايته ولا تقبل شهادته إلا اذا وافقت رواية غيره مثلما صنع سيد قطب في محاكمته لما استُدل عليه بأقوال أحد القياديين معه في التنظيم وهو علي عشماوي؛ فقال لا تقبل روايته إلا اذا وافقت رواية بقية القادة كما ذكر ذلك سامي جوهر في كتابه (الموتى يتكلمون).



***

النقطة الأخيرة من خلال الرحلة في سيرة الدكتور عبد الله النفيسي، هل غطى برنامج (الصندوق الأسود) أغلب ما في كتاب (من أيام العمر الماضي؟)
الجواب: نعم بل زاد عليه الكثير من التفاصيل المهمة، فأسلوب السرد أكثر نجاعة وفاعلية في التوثيق من أسلوب الكتابة، لأن توجيه السؤال يقدح بالذاكرة في الرأس فيسترسل المجيب في الإجابة ويُطنب.

وهذا أسلوب متّبع في الغرب في كتابة المذكرات، يقول الشيخ عمر بن محمود في نص طويل: (كثير من الإخوة ممن يملكون معاناة أو تجربة مهمّة ولكن تمنعهم قدراتهم من الكتابة؛ فالطريقة المعاصرة هي طريقة جيّدة من أجل تجاوز هذا العجز، وتخليد هذه الذكريات لتاريخ وللأجيال، وهي كالتالي:

- يحضر صاحب القضيّة التي يُراد كتابة مذكّراته أو ذكرياته أو الأحداث التي يريد أن يتكلّم بها، فيحضّر عند جلوسه من عندهم قدرة على كتابة الأسئلة، ويجلسون معه ويسألونه؛ مثلًا تبدأ بالتعريف بالشخصية: من أنت وما هي عائلتك وأين وُلدت، وهو يجيب ويتكلّم. هو لا يعرف الكتابة، هو يتكلّم كما نتكلّم نحن، وكأنه في جلسة انبساط، جلسة حديث عادية، فيتكلّم ويُسجّل له وهم يسمعون.

ثم هذه الأجوبة تنتج أسئلة؛ أنت سُجنت في أي يوم؟ من سجنك؟ هم يعرفون هذا، هو ليس في ذهنه قدرة على صياغة قصة. قد لا يكون قصّاصًا جيّدًا، وبعضهم عنده القدرة على القصّ يعني أن يتكلّم، فتُسجل له الساعات؛ مائة ساعة، مائتي ساعة، وبعد ذلك يأخذون هذه الأشرطة ويفرغونها على الورق. ويبدأ بعد ذلك الترتيب؛ هذه توضع هنا، هذه تُزال، هذه تُرتّب، هذه نقطة غير بيّنة ارجع اسأله السؤال، فيحضّرون هذا السؤال مرة أخرى، وبعد ذلك يكوّنون هذا الكتاب.

فالكتاب يخرج باسمه أنه ذكريات فلان. وهو لم يكتب، وإنما كتبه هؤلاء الصحفيون. عادةً هناك أناس في الغرب مختصون لهذا، وما أحد هناك من المشاهير سواء سياسي أو لاعب كرة قدم أو ممثّل إلا ويكتب مذكّراته بهذه الطريقة. لا يوجد عندهم أحد يأتي بمثل ما عندنا ويضع الكمبيوتر ويكتب مذكّراته ثم ينشرها، هذا لا وجود له، هذا انتهى عندهم) أهـ.

وكذا المذكرات فهي مهمة من حيث قراءتها ومهمة من حيث كتابتها لأهل التجربة، يقول عمر عبد الحكيم في شرحه لكتاب حرب المستضعفين: (فأنا

أشجع الإخوة الذين يلمسون في أنفسهم هذه المبادرة، أن يبادروا للكتابة لأننا محتاجون إلى قوّاد يكتبون ويقرأون، من أحب الكتب إلي مذكرات الزعماء، مذكرات تشرشل، مذكرات ديجول، مذكرات الإسلاميين، مذكرات العلمانيين، مذكرات الملوك: مذكرات الملك حسين، مذكرات الملك الحسن، لأنها عصارة التاريخ، وعصارة التجارب) اهـ.



ثم هنالك نقاط وجدت في الكتاب لم يتطرق إليها في برنامج (الصندوق الأسود)، ولكن بعضها هامشي جداً ولا يؤثر، باستثناء نقطة مهمة جداً وأعدها من السقط، وهي لقاء النفيسي في لبنان لما كان طالباً مع المصري الغامض الذي كان يبيع الكرفتات (ربطات العنق)، والذي استضافه لاحقاً في منزله المتواضع جداً، ثم اتضح أن هذا الشخص ليس سوى قائد السرب في سلاح الجو المصري سابقاً اللواء عبد المنعم عبد الرؤوف الذي كان له الدور الرئيس في انقلاب ٢٣ يوليو ١٩٥٢، وكان عضواً في مجلس قيادة الثورة وهو الذي قام بقيادة الفرقة التي حاصرت قصر رأس التين في الإسكندرية، ونجحت في إرغام الملك السابق فاروق على التنازل عن العرش. ولما بدأ هذا الأخير يسرد ذكرياته يقول النفيسي: (في حضرته كانت سياستي «دعه يتكلم» فهذا رجل مخزون بالخبرة والقوة والفروسية. ولو تركني على حريتي لأحضرت معي آله تسجيل لأستعيد ما كان يقوله عن انقلاب ٢٣ يوليو ١٩٥٢ وعن زملائه في مجلس قيادة الثورة إلخ ...).

ربما لم يتطرق إلى هذه النقطة رغم أهميتها أن عبد المنعم عبد الرؤوف قد كتب مذكراته في وقت لاحق بعنوان (أرغمت فاروق على التنازل عن العرش)، وقد نشرتها دار الزهراء للإعلام العربي. ولكن أحياناً يكون في الحوار ما هو غير موجود في الكتاب ويستفاد منه في تكميل المشهد، ومع ذلك لم تُذكر هذه الحادثة في البرنامج وأعدها هي السقط الوحيد.

تكلم النفيسي في خاتمة الكتاب عن غزو الكويت، وأن ما بعد التحرير، كُوّنت لجنة لتقصي الحقائق حول الغزو، وخلصوا إلى وجود مؤشرات متكررة نقلها بعض السفراء وغيرهم إلى القيادة الكويتية تحذرهم جدياً من حصول الغزو وأن هذا الغزو لم يحدث فجأة، الأمر الذي استغربه النفيسي هو ما قاله (لم يقص أحد من المسؤولين عن منصبه ولم يحاسب ولم يحاكم؛ بل عاد الجميع إلى ما كانوا عليه، لو حدث هذا في بلد غير الكويت لكان ما كان بعده؛ لكن ماذا نقول غير: الله المستعان على هذا الهوان).

وهذا مفارقة، فقد تجد في الدول الغربية لو ارتكب الوزير أو المسؤول خطأً قد يستقيل أو يُحال الى الاستجواب والتحقيق، رغم أن هذا الخطأ قد يكون محدود الضرر، ولكن في الدول الخليجية أو العربية عموماً، قد تجد أن بعض المسؤولين قد تسبب إهمالهم في عدم الاستعداد والتحصن مما جعل الاحتلال يدخل بسهولة ويسقط الحكومة في ساعات، فخطأهم تسبب في احتلال بلد كامل، وما تلا ذلك من قتل واعتقال وتعذيب وانتهاك للأعراض ومآسٍ تجدها مؤرخة في مجموعة كبيرة من كتب التأريخ التي كتبها الكويتيون ولعل من أبرزها في نظري (الكويت وأيام الاحتلال) للمؤرخ محمد عبد الهادي جمال.

فمر حدث الغزو كمرور الكرام، فلا مساءلة -رغم تشكل لجنة أثبتت حصول الأخطاء- ولا استقالة ولا محاسبة؛ بل كما قال النفيسي (لم يُقصَ أحد من المسؤولين عن منصبه).

فهذه هي عقلية الحكومات العربية، والآن البعض يريد من وزير النقل أن يستقيل لأن قطارين تصادما، أو لحدوث حريق في أحد القطارات، فهذه دولة بأكملها احتلت ولم يُساءل أحد، وهؤلاء يريدون أن يُقيلوا الوزير من أجل حريق قطار!



" ثم لم تكن هناك أصوات تحذر من دخول العراق فقط، بل كانت هنالك أصوات علنية لا تحتاج إلى رجل استخبارات بقدر ما تحتاج إلى باحث أو راصد، تقول إن أمريكا تسعى بقوة للدخول إلى جزيرة العرب، وأن هذا ضمن خطة استراتيجية أتى صدام حسين وطبقها على طبق من ذهب، وقد جمعها الدكتور سفر الحوالي -فرج الله عنه- في كتابه الشهير (وعد كسينجر) أو يعرف أحياناً بـ(كشف الغمة عن علماء الأمة). "

هذا والله أعلم وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.



أحمد
قنيطة

حماس والجهاد الإسلامي

إدارة الخلافات .. سر تجاوز الأزمات

شهدت العلاقة بين حركتي «حماس» و»الجهاد الإسلامي» في فلسطين خلال العقود الماضية فتراتٍ من المد والجزر، بناءً على تباين الرؤى واختلاف الاجتهادات في عدد من الملفات الداخلية والخارجية، فقد شهدت العلاقة بين الحركتين حالة من الجمود والتراجع بعد أحداث «الحسم العسكري لغزة» عام ٢٠٠٦ م، بعد ما سيطرت حركة حماس على القطاع، وطردت عصابات التخابر مع العدو وفرق الموت التابعة لفتح والأجهزة الأمنية البائدة التي حاولت تنفيذ انقلاب عسكري على حركة حماس بغزة، بعدما رفضت حركة «فتح» الاعتراف بنتائج الانتخابات التشريعية وتسليم السلطة لحماس.

حينها اتخذت حركة الجهاد الإسلامي موقفاً حيادياً، رافضةً دعم وتأييد موقف حركة حماس في غزة، بدعوى الوقوف على مسافة واحدة بين طرفي النزاع، برغم ما تتعرض له قيادة حركة الجهاد وكوادرها - شأنها شأن حماس - من ملاحقة وتضييق وإذلال من قبل أجهزة «فتح» الأمنية في الضفة المحتلة.

وعلى النقيض تماماً؛ فقد وصل التنسيق بين الحركتين خلال السنوات القليلة الماضية إلى مستوًى كبير وغير مسبوق من التعاون والتفاهم والانسجام في كثير من القضايا، خاصةً بعد وصول القضية الفلسطينية إلى مأزقٍ خطير إثر فشل ما يُسمى بالحلول السلمية المجحفة، وإعلان الإدارة الأمريكية ما يُسمى بـ «صفقة القرن»، وتنّصل الاحتلال من كافة التزاماته في اتفاق أوسلو المشؤوم، في ظل استمرار العدو بسياسة ابتلاع الأراضي الفلسطينية في الضفة المحتلة، وتشديد الحصار على قطاع غزة.

وقد بلغت ذروة هذا التنسيق والتعاون بين «حماس والجهاد» بعد انطلاق مسيرات العودة وكسر الحصار قبل عامين، والتي شجّعت فصائل المقاومة على تدشين جبهة سياسية موحدة مع قوى اليسار الفلسطيني لرفض العقوبات التي يفرضها رئيس السلطة «محمود عباس» على غزة، والاعتراض على استفراده بالقرار الفلسطيني، ومواجهةً صفقة القرن والسياسات الانهزامية التي ينتهجها «عباس» الذي ما زال يلهث خلف وهم المفاوضات والحلول السلمية.

فما الذي دفع بالحركتين لتجاوز الخلافات والبحث عن أرضية مشتركة للالتقاء والتفاهم وتنسيق المواقف في ظل وجود نزعات التنافس وخصومة الأقران وأحلام القيادة والتصدر للمشروع الفلسطيني؟؟!

إن من أهم الحقائق التي يجب أن نعلمها بدايةً؛ هي أن ما يَجمَع قوى الثورة والجهاد في بلادنا أكثر بكثير مما يفرقها، لكنها لن تصل إلى ذلك «الاجتماع» إلا إن أسقطت عن عيونها غشاوة المصلحية الضيقة، والتنافسية

المذمومة على حساب القضايا الكبرى، إذ إن بعض الخلافات التي تطرأ على العمل العسكري أو السياسي هي خلافات طبيعية ناتجة عن الاختلاف في طرق التفكير ومعالجة القضايا وتقييم الأحداث، فالصحابة رضوان الله عليهم وهم خير القرون اختلفوا في العديد من القضايا الفقهية، والتكتيكات العسكرية، والنوازل السياسية.



بناءً على ما سبق يجب أن ندرك جيداً واقع الاختلاف وحقيقته، وأنه سنة الله في عباده الذين خلقهم مختلفين في أشكالهم وألوانهم وعقولهم وطرق تفكيرهم ومستويات فهمهم "وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ، إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ»، وأن الخلاف الذي ينتج عن الاختلاف في وجهات النظر وقراءة الأحداث، إنْ أحسنّا إدارته جيداً وتعاملنا معه بحكمةٍ ورويّةٍ، مع تقديم المصلحة العامة للقضية على المصلحة الخاصة الحزبية؛ فلا شك أننا سنجني منه نتائج مبهرة وأفكاراً عظيمة، وسيفتح أمامنا آفاقاً رحبة ننطلق من خلالها لتحقيق أهدافنا في التحرر والاستقلال، وطرد الغزاة المحتلين بأقصر الطرق وأقل التكاليف، فانتهاج منهج الحوار البنّاء والنقاش المثمر لتجاوز الخلافات وتذليل العقبات هو السبيل الوحيد للخروج برأيٍ جماعي تسير عليه الأمة، أما التنافر والتناحر فهو وصفة سحرية للفشل والهزيمة ستجني الشعوب آثاره الكارثية ذلاً وهواناً وقتلاً وتشريداً.

رأي الجماعة لا تشقى البلاد به *** رغم الخلاف ورأي الفرد يشقيها

من هنا أدركت حركتا حماس والجهاد الإسلامي خطورة الفشل في إدارة الخلافات البينية، وما سينتج عنه من آثار كارثية توشك أن تقضي على بؤرة النور الوحيدة في فلسطين وخط الدفاع الأخير عن القضية الفلسطينية ألا وهي «غزة»، وفي ظل استمرار الأزمة الداخلية الفلسطينية المتمثلة بالانقسام بين «غزة والضفة»، ومع تضييق الخناق على رقاب الغزيين بمشنقة الحصار، وبعد انتهاج حركة فتح ورئيسها «عباس» لسياسة الحرب الاقتصادية القذرة على غزة، تداعت الحركتان بالإضافة لفصائل اليسار الفلسطيني بعد أن رموا خلف ظهورهم الخلافات الفكرية والخصومات الحزبية والمصالح الفصائلية، لمواجهة هذه الكارثة مجتمعين بتشكيل موقف سياسي وعسكري وجماهيري موحّد لمواجهة للعدوان الصهيوني من جهة، والتصدي لإجراءات (فتح - عباس) المتمثلة بقطع الرواتب عن عشرات الآلاف من الموظفين وعائلات الشهداء والجرحى، والأسرى المحررين وغيرها من العقوبات من جهةٍ أخرى.



نجحت الحركتان وفصائل اليسار بالفعل بتشكيل جبهة سياسية عسكرية موحدة لقيادة مشروع المقاومة والتحرر والخروج به من أعمق وأقسى أزمة مرّت في تاريخ الجهاد والمقاومة الفلسطينية، حين وضع عباس الشعب الغزيّ المحاصر مرغماً في مواجهة أبنائه المجاهدين في فصائل المقاومة؛ تحت ضغط الحاجة للرواتب والدواء والغذاء والحاجات الأساسية الماسة، فكان التوجيه

النفسي والمعنوي من عباس للشعب الفلسطيني: إما أن تثوروا على المجاهدين وتُسقطوا مشروع المقاومة وتدوسوا على تضحياتكم كي تحصلوا على راتبكم ودوائكم وقوت عيالكم وحليب أطفالكم، وإما أن تنتظروا مزيداً من الإجراءات العقابية التي ستطال الجوانب الأكثر حيوية إن واصلتم دعم المقاومة واحتضان المجاهدين، ما سيجعل غزة جحيماً لا يُطاق، وبقعةً لا تصلح للحياة الآدمية.

- وقـد كانت مسيرات العودة وكسر الحصار التي انطلقت بقرار وطني جامع، هي السبيل الوحيد لتوجيه الغضب الشعبي العارم الذي كان مخططاً له أن ينفجر في وجه فصائل المقاومة، إلى الانفجار في وجه الاحتلال الذي هو السبب الأساسي في حالة الحصار التي تعيشه غزة، إذ ترتب على تلك المسيرات الشعبية نتائج مبهرة شكّلت رافعة للقضية الفلسطينية، أهمها تشكيل جبهة سياسية موحدة لمواجهة صفقة القرن ومحاولات تصفية القضية الفلسطينية، وتشكيل غرفة العمليات المشتركة لفصائل المقاومة للتشاور وتنسيق المواقف بين القوى العسكرية المختلفة.



وعلى الرغم من وجود بعض الخلافات التي ما زالت تطفو على السطح بين الفينة والأخرى بين حركتي «حماس والجهاد» كما رأينا في الخلاف الذي وقع على جولة التصعيد الأخيرة على غزة، والتي حاول الاحتلال استغلالها لزرع بذور الشقاق والفتنة بين الحركتين؛ إلا أن الحركتين سرعان ما تجاوزتا هذا الخلاف واستطاعتا تطويقه من خلال التفاهم والتنسيق والحوار الجاد.

وهذا ما دعا الجنرال الصهيوني يستحاق بريك للقول إنه: «من الصعب التصديق أن «إسرائيل» قادرة على تطبيق سياسة «فرق تسد» في غزة، والتفريق بين حركتي حماس والجهاد الإسلامي".



إن الإدارة السليمة للخلافات بين القوى والفصائل المجاهدة من خلال تفعيل منهج الشورى وإعلاء قيمة الحوار، واليقين أن التعاون أفضل من التنافس، وأن الآراء المختلفة مع وجود عامل الثقة ستؤدي إلى التبصّر والإبداع، ما من شأنه أن يحقق لكل طرفٍ أهدافه ومصالحه من خلال التعاون والتفاهم مع الطرف الآخر، وهذا ما يسمونه في علم الإدارة والعلاقات الدولية بسياسة «الأطراف الرابحة»، وهذا هو الضامن الوحيد لاستمرارية مشاريعنا الجهادية وثوراتنا التحررية، لتفويت الفرصة على الأعداء الذين لا يألون جهداً في إثارة الفتن والقلاقل بين شركاء الثورة والجهاد، لصرفهم عن معركتهم الكبرى بقتال عدوهم المحتل، إلى الانشغال بمعارك داخلية من شأنها أن تأكل الأخضر واليابس وتقضي على أحلام الشعوب في الحرية والاستقلال.

مادة حصرية

مذكرات الشيخ رفاعي طه (٢١)

من مؤسسي الجماعة الإسـلامية المصـرية

سجلها عنه وحررها:
محمد إلهامي



نظرة من الداخل على التيار الإسلامي في الجامعات المصرية

- لأول مرة شعر الطلاب بأن أموالهم رُدَّت إليهم لما فاز الإسلاميون باتحاد الطلاب
- كنا حريصين على مكافحة التحرش والاختلاط بين الشباب والفتيات في الجامعة!
- لم يكن الخلاف بيننا وبين الإخوان حقيقيا، لكنهم كانوا يتحاشون الصدام مع النظام

لمطالعة الحلقات السابقة اضغط هنا

كانت فرصة اتحاد الطلاب عظيمة، أعطت التيار الإسلامي قفزة كبرى لم تكن متوقعة، في تلك الفترة كانت ميزانية الاتحاد الطلابي قوية، وكانت هذه الميزانية تُنفَق من قبل على الفساد والإفساد، وتغير الحال لما جاء التيار الإسلامي فأنفقها في مصالح الطلاب: مساعدات للفقراء، أزياء إسلامية للأخوات اللاتي يرتدين الحجاب، إعانات للطلاب في دفع إيجار مساكنهم أو في شراء الكتب لهم، وسائر ما يقع في هذه المنافع التي شعر بها الطلاب بالفائدة الكبرى العائدة عليهم بوجود الإسلاميين في اتحاد الطلاب، لأول مرة ربما يرى الطلاب أن أموالهم التي تأخذها منهم الدولة قد رُدَّت إليهم، وقد كان هذا نفسه من دواعي ودوافع تحول الكثير منهم إلى الالتزام دينيا.

وتحولت هذه القوة الطلابية إلى قوة سياسية حين تبنى اتحاد الطلاب معارضة سياسة السادات في الذهاب لمفاوضات كامب ديفيد وتوقيع معاهدة السلام، ومثَّلت الحركة الطلابية ضغطا قويا حتى ارتكب السادات جريمته الجديدة بحل اتحادات الطلاب على مستوى الجامعات المصرية!

لكن قبل أن نتحدث عن حل الاتحادات الطلابية سيكون حسنا لو ألقينا نظرة على الشكل الداخلي لتنوعات التيار الإسلامي، والتي لم تكن ظاهرة ولا منظورة لمن كان خارج هذه البيئة الإسلامية. لقد كانت الصورة من الخارج يمثلها تيار إسلامي عريض منتشر في سائر الجامعات، لكن لم يكن هذا هو الواقع إذا نظرنا إلى الصورة من الداخل.

لقد أسلفت أن الصحوة الشبابية الإسلامية في الجامعات سبقت وجود جماعة الإخوان التي كانت في السجون الناصرية ولم تزل قياداتها مسجونة حتى أن البعض منهم لم يفرج عنه إلا عام**١٩٧٤م**، وحين خرجت هذه القيادات سعت في احتواء القيادات الشبابية التي كانت قد تزعمت حالة الصحوة الإسلامية في الجامعات، وقد نجحت بالفعل في اجتذاب قيادات جامعة القاهرة، بينما تفاوت نجاحها في بقية الجامعات! لكن كان لها وجودٌ وحضور قوي في سائر الجامعات!

أما بقية الحالة الشبابية التي لم تنجح جماعة الإخوان في احتوائهم، فقد كان حضورهم ظاهرا في الجامعات لكن لا حضور لهم خارجها، لأنه لا امتداد لهم في الخارج، إذ لا جماعة غير الإخوان في هذا الوقت، على الأقل ليس ثمة جماعة كبرى أخرى غيرها.

وانتهت الحالة إلى أن تحتوي الإخوان الحالة الإسلامية في جامعة القاهرة بالأساس، ثم في جامعة الأزهر وجامعة عين شمس، بينما كنا نحن أصحاب الحضور الأقوى في جامعات الصعيد (المنيا وأسيوط)، وكلمة «نحن» هنا تعود على «الجماعة الإسلامية» التي احتفظت بهذا الاسم كما بدأت به، ثم صارت

فيما بعد حالة تنظيمية يقودها الشيخ عمر عبد الرحمن والتي نفذت فيما بعد أحداث ١٩٨١ واغتيال السادات. وأما جامعة الإسكندرية فقد غلب عليها الاتجاه السلفي الذي صار فيما بعد جماعة «الدعوة السلفية» ذات الرموز المعروفة: محمد إسماعيل المقدم وياسر برهامي وأبو إدريس وغيرهم.



وإذا قلنا بأن جماعة الإخوان أخفقت في احتواء الشباب الإسلامي في الصعيد وفي الإسكندرية فليس معنى هذا أنهم توقفوا عن المحاولة، ولا معناه أيضا أنه لم يكن لهم حضور في هذه الأنحاء، بل لقد سبق وذكرت أن ما حصل عندنا في أسيوط سبَّب انشقاقا وبقي شباب الإخوان خطا مستمرا تحت قيادة الأخ الدكتور أسامة السيد، كما بقي شباب الإخوان في جامعة الإسكندرية تحت قيادة خالد الزعفراني وإبراهيم الزعفراني.

وبالرغم من وحدة الصورة للتيار الإسلامي كما تبدو لمن يراها بالخارج، فإن الصورة من الداخل ذهبت في سياق التنافس والتنازع، لا التنسيق ولا الوحدة، وكان الخلاف بين هذه الأطياف الرئيسية الثلاث خلافا شديدا، كان الإخوان يرون أنهم الجماعة الأكبر ويجب أن يكونوا أصحاب اليد العليا في سائر الجامعات، وأولئك الذين لم تسعهم عباءة الإخوان كانوا يقاومون هذا بشراسة، وكانوا شبابا لم ينضجوا بعد ولم يطرأ على بالهم اقتراح: تعالوا نجلس مع الإخوان المسلمين وننسق معهم.

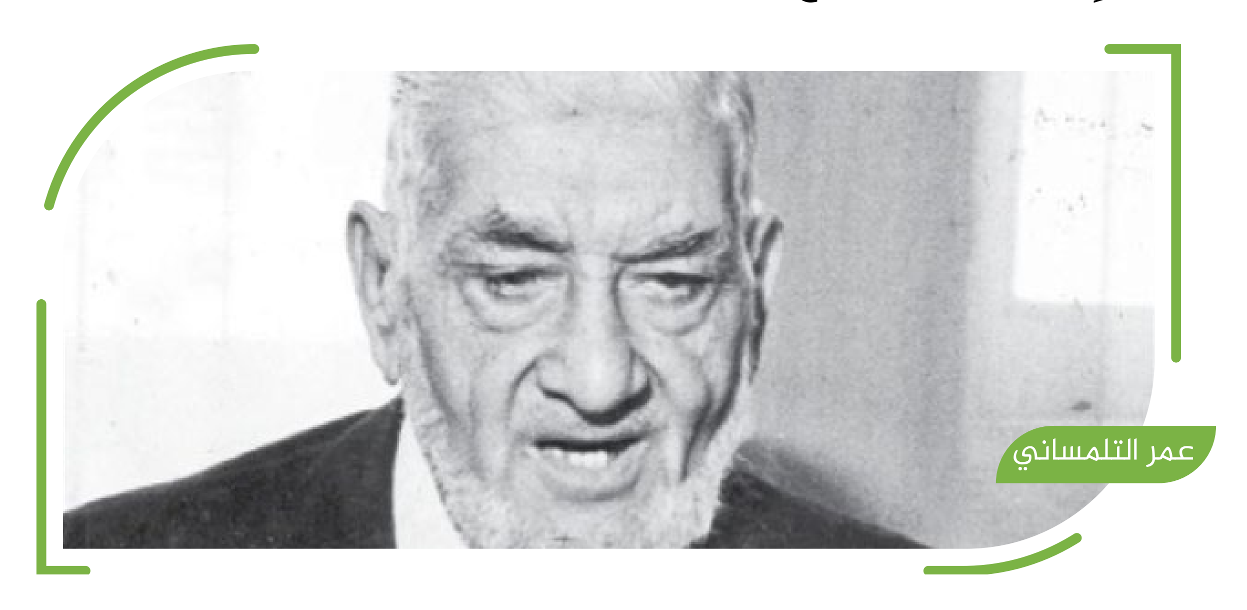
وقد زاد في الخلاف بين الطرفين اختيارات الإخوان السياسية في تلك المرحلة، فلم يكن الإخوان قادرين على أن يدخلوا إلى احتواء الشباب من باب: تعالوا معنا، وستجدون عندنا ما ترجونه من دعوة وجهاد وحسبة وأمر بالمعروف ونهي عن المنكر.. لا، لا يستطيعون احتواء الشباب من هذا المدخل الذي هو ساعتها يمثل أصلا أصيلا في اتجاههم وحركتهم.

لقد كان الشباب وقتها عالي السقف عظيم الطموح مستعدا للفداء والتضحية ولا تردد عنده لو قاده أحد حتى لمواجهة الدولة، كانوا يسيرون عمليا نحو الصدام مع النظام.. نظام السادات. وكان الإخوان يتحاشون هذا أشد المحاشاة ويتجنبونه غاية التجنب، ومن ثم كانوا يبذلون غاية جهدهم في كفكفة الشباب الإسلامي عن قضايا إسلامية كثيرة كانوا يرون وجوب خوضها.

من ذلك مثلا: مواجهة الانحلال الأخلاقي! وهذه تفردنا بها -نحن الجماعة الإسلامية- داخل جامعة أسيوط، فلقد كنا حريصين على صبغ الجامعة بالهَدْيِ الظاهر، نريد للشباب أن يلتحي، وللفتيات أن تتحجَّب، نرفض حصول الاختلاط بين الشباب والفتيات، ولا نعني بالاختلاط مجرد الكلام الذي يقع بين طالب وزميلته أو مجرد ما قد يجمعهما من أمور الدراسة فقد كان موجودا ولم نكن نستنكره، بل أعني بالاختلاط ما يكون من الاختلاط الفاحش كالذي يحدث في الحفلات من الرقص، وقد كان هذا موجودا في الجامعات آنذاك، أو ما يحدث من المزاحمة بينهما عند الدخول إلى المحاضرات والخروج منها، وكان يقع في أثناء ذلك تحرش وإسفاف كبير. كان الإخوان يرون أن نغض الطرف عن هذه الأمور كي لا تكون إثارتها سببا في الاشتباك مع أمن الجامعة أو إدارتها، وأن نصبر ولا نتعجل إصلاح هذه الأمور.

وكان لنا على الإخوان مطعن آخر، لقد كنا نرى أن الإخوان حركة لا تهتم بالعقيدة، ولا تعتني بالأساس العقدي للمنتسبين إليها، ويوجد في الإخوان من هو صوفي، وكان رأينا أن النزعة الصوفية تحتاج إلى الكثير من التخفف ومن التخلص من البدع والأهواء التي شابتها، لتعود إلى نقاء أهل السنة والجماعة.

بينما كان الإخوان ينظرون إليها نظرة أخرى، فإذا ناقشناهم قالوا: نحن مدرسة للتربية، يدخل إليها الجميع، فيدخل إلينا الصوفي فيعيش بيننا ثم بعد فترة يقلع عن هذه البدع التي تعترضون عليها. وكنا نقول: أنتم لا تمارسون حتى التوجيه إلى نقد هذه البدع.. وهكذا!



عمر التلمساني

في الواقع لم يكن الخلاف بيننا وبين الإخوان حقيقيا، أقصد كحركة في الجامعة، كانت حقيقة الخلاف في طريقة الأداء والسلوك، لم يكن اختلافا جوهريا، لم يكن اختلافا عقديا، إلا أنه كان اختلافا مصبوغا بفارق الأجيال، الفارق الذي يجعل الاتصال عسيرا بين حماسة الشباب وطاقتهم، وبين تعقل الشيوخ وتريثهم!

لقد كان يأتي لزيارتنا إخوة كبار مشاهير، مثل الأستاذ عمر التلمساني رحمه الله رحمة واسعة، أو الشيخ محمد الغزالي رحمه الله، أو السيدة زينب الغزالي رحمها الله، فكانوا رغم مكانتهم وقدرهم لا يراعون سن الشباب في لهجة خطابهم، يقول لنا الأستاذ التلمساني: أنتم تستعجلون الجهاد وكذا وكذا، وفي الواقع لم نكن نستعجل الجهاد بل ولا كنا نفكر فيه ساعتها، ولا كانت فكرة الجهاد نفسها موجودة ومطروقة، وغاية ما نفكر فيه كانت هذه المظاهرات الصاخبة المعارضة للسادات في كامب ديفيد أو في استقباله لشاه إيران، يعني مسائل بسيطة لا تستوجب هذه الحملة الشديدة التي يتصدى لها الأستاذ التلمساني نفسه، يرحمه الله!

وعن نفسي، كنت أقول: يمكن للإخوان أن يستوعبونا، ويمكن أن نكون من رجالهم، فقط لو أنهم قدَّروا سن الشباب واجتهدوا في احتوائه، بدل أن ينظروا إلى تصرفاتهم بعين النقد وبدل أن يعالجوها بما يُنَفِّر منهم!



لهذا أقول، لقد كان الخلاف بيننا وبين الإخوان في الأساس خلافا في الأداء والسلوك، لا في الرؤية، بل من الإنصاف أن أقول: لم يكن لدينا في هذه المرحلة رؤية أصلا!

لم يكن لدينا رؤية لأننا بالأساس لم نلتقِ أولا على رؤية، كانت لا تزال فكرة الانقلاب العسكري في ذهني، نعم، لكن كل ذهن كان يحمل فكرته الخاصة، وإذا كنا تعارفنا أجسادا وأرواحا فلم نتعارف بعدُ رؤىً وأفكارا، بل وقد كان فينا من لم تكن لديه فكرة مطلقا، إنما هو ينظر إلى الجماعة كمحضن أو كبيئة ينفق فيها طاقته وبذله لخدمة الدين. إنما كانت لقاءاتنا لقاءات الشباب المتدين الملتزم، وفيما بعد نشأت بينهم الألفة والمودة، ثم فيما بعد جاء دور التعرف على الأفكار وتمحيصها!

لهذا أقول، لو كان الإخوان المسلمون استهدفونا بشكل منظم، وخاطبوا كل واحد فينا بما يناسبه، لكان محتملا جدا أن يؤثروا علينا، ربما ليس الجميع، لكن الأغلب، ولو أنهم نجحوا لصاروا القوة الأولى في جامعة أسيوط لا القوة الثانية. ولكن يجب أن أثبت هنا للتاريخ أنهم كانوا القوة الثانية رغم كل شيء.

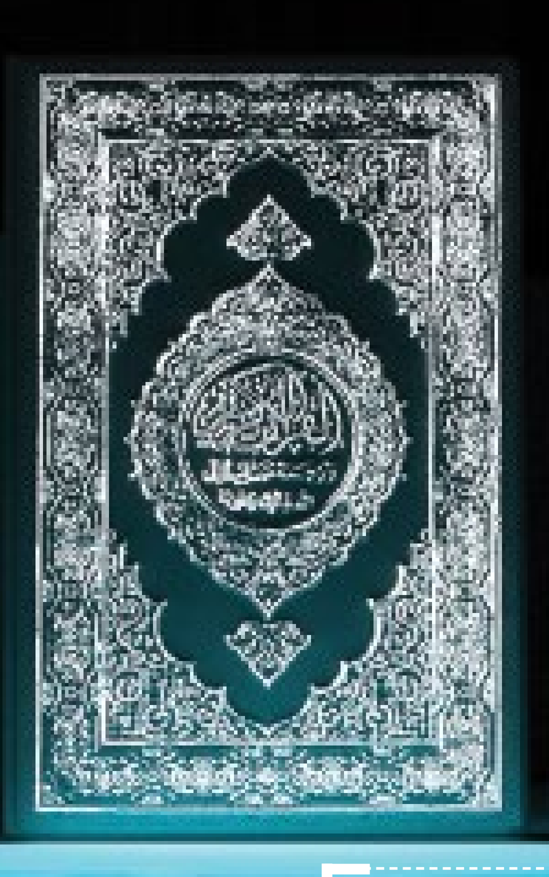
وحين أسترجع الأيام في ذهني، أقول وبأمانة، ربما يكون الخلاف أقل حتى من أن يكون خلافا في السلوك والأداء، لقد كنت أشهد شباب الإخوان وفيهم من يقيم الليل ويغض البصر، وسائر هذه الأمور التي هي سمت الشباب المسلم المتدين.

وبالعموم يمكن القول بأن فترة السبعينات بقدر ما شهدت ازدهار الصحوة الإسلامية، بقدر ما شهدت بذور الخلافات الأساسية بين التيارات الإسلامية المصرية، وهي الخلافات التي ستستمر نصف قرن آخر فيما بعد!

لقراءة الحلقات السابقة:

وَجَاهِدْهُم بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا

سورة الفرقان الآية (٥٢)



التصوف بين ارتباطـــــه بالجهـــاد والاجتهاد

وبين فرض «دين» جديد

د. وصفي عاشور أبو زيد

التصوف باعتباره مصطلحا لم يظهر في الصدر الأول إلا في أواخر القرن الثاني الهجري وبدايات الثالث الهجري، وقد سماه القرآن (التزكية)، والسنة (الإحسان)، والبعض أطلق عليه علم الباطن في مقابل علم الظاهر، ولا مشاحة في الاصطلاح متى اتضحت المفاهيم وانكشفت المضامين.



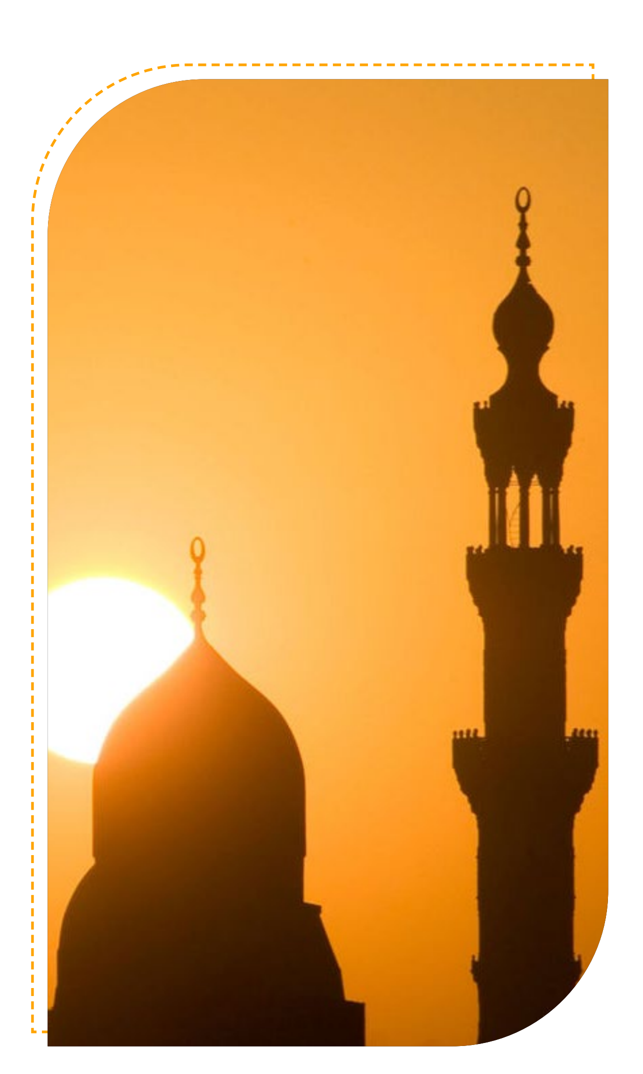
ولو أننا مررنا مروراً سريعاً على تعريفات التصوف عند العلماء في ذلك الوقت المبكر نسبياً لوجدنا أنها تدور حول الارتقاء من البشرية إلى الإنسانية، ثم من الإنسانية إلى كمال الإنسانية، ألا وهو الإحسان، وهذه التعريفات أشهر من أن توثق وهي موجودة في كل الكتب التي تناولت التصوف.

فالإمام معروف الكرخي ٢٠٠ هـ مثلاً يقول: «التصوف هو الأخذ بالحقائق واليأس مما في يد الخلائق»، وبشر الحافي ٢٢٧ يقول: «الصوفي من صفا قلبه لله»، وسحنون المحب ٢٩٧ كان يقول: «التصوف ألا تملك شيئاً ولا يملكك شيءٌ»، وأما الإمام الجنيد رحمه الله فقد كان علامة فارقة في تاريخ التصوف، فقد أصل أصوله، وقعد قواعده، ورسم طريقه منضبطاً بالكتاب والسنة، وقد عرّف التصوف قائلاً: «أن تكون مع الله بلا علاقة، ذكر مع اجتماع، ووجد مع استماع، وعمل مع اتباع»، وقال: «الصوفي كالأرض؛ يرزح عليها كل قبيح، ولا يخرج منها إلا كل مليح»، وقال: «التصوف أن يختصك الله بالصفاء ..فمن صفّي من كل ما سوى الله فهو صوفي»، وهو صاحب المقولة المشهورة: «لو رأيتم الرجل يطير في السماء ويمشي على الماء فلا تعبؤوا به حتى تعرضوا أمره على الكتاب والسنة».

والتزكية - كما قرر القرآن الكريم - من وظائف النبوة ومهماتها، قال تعالى: ﴿كَمَآ أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُواْ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٥١].

قال العلامة عبد الرحمن السعدي في تفسيرها: (يقول تعالى: إن إنعامنا عليكم باستقبال الكعبة وإتمامها بالشرائع والنعم المتممة، ليس ذلك ببدع من إحساننا، ولا بأوله، بل أنعمنا عليكم بأصول النعم ومتمماتها، فأبلغها إرسالنا إليكم هذا الرسول الكريم منكم، تعرفون نسبه وصدقه، وأمانته وكماله ونصحه). ثم قال عن كلمة (ويزكيكم): ﴿وَيُزَكِّيكُمْ﴾ أي: يطهر أخلاقكم ونفوسكم، بتربيتها على الأخلاق الجميلة، وتنزيهها عن الأخلاق الرذيلة، وذلك كتزكيتكم من الشرك، إلى التوحيد ومن الرياء إلى الإخلاص، ومن الكذب إلى الصدق، ومن

الخيانة إلى الأمانة، ومن الكبر إلى التواضع، ومن سوء الخلق إلى حسن الخلق، ومن التباغض والتهاجر والتقاطع، إلى التحاب والتواصل والتوادد، وغير ذلك من أنواع التزكية). ا.هـ.



والتزكية هي ثالث ثلاثة لمقاصد عليا قررها ورفع سقفَها الفقيه المعروف د. طه جابر العلواني في كتابه: (التوحيد والتزكية والعمران)؛ حيث جعل الشريعة كله تتغيا إقامة عدد من القيم الكبرى أو المقاصد العليا الحاكمة، هي التوحيد والتزكية والعمران، وهي كليات مطلقة قطعية، فالتوحيد حق الله تعالى، والتزكية مؤهِّل الإنسان للاستخلاف والعمران، والعمران هو حق الكون المسخَّر وميدان فعل الإنسان ونشاطه، وتنحصر مصادر هذه المقاصد القرآنية العليا في القرآن المجيد، فهو المصدر الأوحد لها في كليته وإطلاقه وقطعيته وكونيته وإنشائه للأحكام.

الرغبة العالمية في إقامة «دين» جديد

واليوم نلاحظ أن هناك رغبةً عالمية لفرض «دين» جديد على أمتنا الإسلامية، من ملامحه أن يكون قرآنًا بلا سنة، ومصحفًا بلا سيف، وروحانية دون عمل، وعقيدة بلا عبادة، وسماحة دون قوة .. إنه «دين» مُسْتَسْلِمٌ لما يريده أعداء هذه الأمة؛ حيث يضربون الآن بكل قوة في ثوابت هذه العقيدة، ومعاقد هذه الشريعة، ومحكمات هذا الدين، بعد أن فشلوا في محاولاتهم المتواصلة الحثيثة في حصر الإسلام في المساجد والطقوس والشعائر، وإبعاده عن مجالات

الحياة وقيادة حركتها .. ها هم اليوم ينفقون أموالهم بالمليارات ويصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجًا، ولكي يفرضوا «دينًا» لم يأتِ به محمد صلى الله عليه وسلم، ولا عرفه الصحابةُ والتابعون لهم بإحسان، ولكنهم - ما دمنا قائمين على ديننا حارسين لحقائقه وتعاليمه - كما وعد الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُم لِيَصُدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيهِم حَسرة ثُمَّ يُغلَبُونَ وَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحشَرُونَ﴾ [الأنفال: ٣٦].

وقد تجلت هذه الرغبةُ «المدروسة» في صور متعددة، منها: الضرب في ثوابت الشريعة والمعلوم من الدين بالضرورة مرةً، ومرةً أخرى بالتشكيك في السنة وأكابر رواتها ومحققيها، ومرة ثالثة بالترويج لدعاة ينسبون أنفسهم للعلم لا يعلمون من القرآن الكريم إلا رسمه، ولا من الإسلام إلا وسمه؛ يلبِّسون على الناس دينهم ويقذفون بالشبهات المزيَّنة في عقولهم، ومرة رابعةً بالدعوة لتصوف ينزع من الإسلام حيويته وتربيته ودعوته وجهاده؛ ليكون إسلامًا روحانيًّا مستأنسًا لا حراك له ولا جهاد فيه.

ملامح «الدين» الجديد

●● ولا أدل على ذلك من التقرير الذي أصدرته مؤسسة «راند» RAND البحثية التابعة للقوات الجوية الأمريكية - التي تبلغ ميزانيتها السنوية قرابة ١٥٠ مليون دولار والذي صدر في ٢٦ آذار (مارس) ٢٠٠٧ ، ويقع في ٢١٧ صفحة مكونًا من عشرة فصول، بشأن التعامل مع «المسلمين»، وليس «الإسلاميين» فقط مستقبلاً![١].

وهذا التقرير لا تنبع خطورته من جراءته في طرح أفكار جديدة للتعامل مع «المسلمين» وتغيير معتقداتهم وثقافتهم من الداخل فقط تحت دعاوى «الاعتدال» بالمفهوم الأمريكي، وإنما يطرح الخبرات السابقة في التعامل مع الشيوعية للاستفادة منها في محاربة الإسلام والمسلمين وإنشاء مسلمين معتدلين !. ولهذا «الاعتدال الأمريكي»، محددات وشروط معينة من تنطبق عليه فهو «معتدل» وفقًا للمفهوم الأمريكي للاعتدال، ومن لا تنطبق عليه فهو متطرف.

---

(١) أفدت ما يتعلق بتقرير مؤسسة راند من مقالة بعنوان: «لماذا تبني أمريكا شبكات مسلمة معتدلة « علمانية؟». للكاتب المعروف محمد جمال عرفة، منشور على شبكة صيد الفوائد، ومعه مقالات أخرى حول الموضوع نفسه.

●● ووفقًا لما يذكره التقرير، فالتيار (الإسلامي) المعتدل المقصود هو ذلك التيار الذي :

١ يرى عدم تطبيق الشريعة الإسلامية.

٢ يؤمن بحرية المرأة في اختيار «الرفيق»، وليس الزوج.

٣ يؤمن بحق الأقليات الدينية في تولي المناصب العليا في الدول ذات الغالبية المسلمة.

٤ يدعم التيارات الليبرالية.

٥ يؤمن بتيارين دينيين إسلاميين فقط هما: «التيار الديني التقليدي» أي تيار رجل الشارع الذي يصلي بصورة عادية وليست له اهتمامات أخرى، و«التيار الديني الصوفي» - يصفونه بأنه التيار الذي يقبل الصلاة في القبور!.



والطريف هنا أن الدراسة تضع ١١ سؤالاً لمعرفة ما هو تعريف (المعتدل) - من وجهة النظر الأمريكية - وتكون بمثابة اختبار يعطي للشخص المعرفة إذا كان معتدلاً أم لا؟. وهذه المعايير هي:

١ أن الديمقراطية هي المضمون الغربي للديمقراطية.

٢ أنها تعني معارضة «مبادئ دولة إسلامية».

٣ أن الخط الفاصل بين المسلم المعتدل والمسلم المتطرف هو تطبيق الشريعة.

٤ أن المعتدل هو من يفسر واقع المرأة على أنه الواقع المعاصر، وليس ما كان عليه وضعها في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم.

٥ هل تدعم وتوافق على العنف؟ وهل دعمته في حياتك من قبل أو وافقت عليه؟.

٦ هل توافق على الديمقراطية بمعناها الواسع.. أي حقوق الإنسان الغربية (بما فيها الشذوذ وغيره)؟.

٧ هل لديك أي استثناءات على هذه الديمقراطية (مثل حرية الفرد في تغيير دينه)؟

٨ هل تؤمن بحق الإنسان في تغيير دينه؟.

٩ هل تعتقد أن الدولة يجب أن تطبق الجانب الجنائي من الشريعة؟ وهل توافق على تطبيق الشريعة في جانبها المدني فقط (الأخلاق وغيره)؟، هل توافق على أن الشريعة يمكن أن تقبل تحت غطاء علماني (أي القبول بتشريعات أخرى من غير الشريعة)؟.

١٠ هل تعتقد أنه يمكن للأقليات أن تتولى المناصب العليا ؟ وهل يمكن لغير المسلم أن يبني بحرية معابده في الدول الإسلامية ؟.

وبحسب الإجابة على هذه الأسئلة سوف يتم تصنيفه هل هو معتدل أمريكيًّا أم متطرف ؟!

ويذكر التقرير ثلاثة أنواع ممن يسميهم (المعتدلين) في العالم الإسلامي، وهم :



(أولاً) العلماني الليبرالي الذي لا يؤمن بدور للدين.

(ثانيًا) «أعداء المشايخ».. ويقصد بهم هنا من يسميهم التقرير (الأتاتوركيين أنصار العلمانية التركية - وبعض التونسيين) .

(ثالثًا) الإسلاميون الذين لا يرون مشكلة في تعارض الديمقراطية الغربية مع الإسلام.

ثم يقول بوضوح إن التيار المعتدل هم من : يزورون الأضرحة، والمتصوفون ومن لا يجتهدون .

وينفق التقرير جزءًا كبيرًا منه (فصلان من عشرة فصول) في التركيز على ضرورة أن يتم التركيز على «أطراف» العالم الإسلامي وتجاهل «المركز» -يقصد به المنطقة العربية- بغرض دعم ما يسمونه « الاعتدال في أطراف العالم الإسلامي » خصوصًا في آسيا وأوروبا وغيرها. «انتهى ما يتعلق بالتقرير».

ارتباط التصوف في تاريخنا بالجهاد والاجتهاد

والناظر في تاريخ تزكية النفس، أو ما عرف لاحقًا في القرن الثالث الهجري بـ «التصوف» يجد رواد الفكر، وزعماء الإصلاح، ورموز التجديد، وقادة لواء الجهاد في هذه الأمة عبر تاريخها هم من هذه الفئة التي جعلت من تزكية النفس والزهد قرينًا بل وقودًا لحركتها الدعوية والإصلاحية والتجديدية والجهادية.

إننا يجب أن نعيد الأمر إلى نصابه، ونقرر بكل وضوح وجلاء: أن حركة التصوف الحقيقي في تاريخنا المجيد لم تكن لإقامة «دين» جديد، ممسوخ الشكل والمضمون، وإنما كانت مُعبرةً عن الدين الحق الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم، مقترنةً دائمًا بكبار علمائنا من المجددين والمصلحين والمجاهدين، مُعزِّزةً لبناء الإنسان الرسالي، ومحفزةً على فاعلية الإنسان والبناء الحضاري للإنسانية، وهذه هي مقاصد التزكية التي تحققها في الأمة والإنسانية بعد تحقيقها هي باعتبارها مقصدا عاليًا حاكمًا.

إننا يجب أن نرفض هذا السعي المأزور الأثيم غير المشكور؛ ويقوم كل عالم غيور على هذا الثغر؛ متناولاً رؤى كليةً ونقديةً حول هذه القضية المهمة، ومحررًا إشكاليات في المصطلح والمفهوم وبعض المسائل، ومبينًا ما للتزكية من أثر في تكوين العلماء المجددين والزعماء المصلحين والقادة المجاهدين، قديمًا وحديثًا، ومُعَرِّجًا على كيفية ممارسة هذه التزكية في الواقع المعاصر بمعوقاته وتحدياته، وناظرًا بعين الإنصاف للجهود المعاصرة المبذولة في هذا السياق وبيان وجوه الإفادة منها، كما أن للغة والأدب أثرًا وتأثيراتٍ في تهذيب النفس وتزكيتها وربطها بعقيدة الإسلام وشريعته الغراء.

إن العلماء يجب أن يظلوا مرابطين على ثغور الإسلام عقيدةً وأخلاقًا وشريعة حتى لا يُؤْتَى من قِبَلهم، ولكي يظل محفوظًا في العقول والصدور كما هو موجود في السطور، وتلك هي رسالة العلماء في هذه الحياة بوصفهم وارثي النبوة وحارسيها؛ ترسيخًا للثوابت، وتوضيحا للإشكالات والمفاهيم، وتجديدًا للفهم، وتحفيزًا على الحركة والدعوة والتربية والجهاد المحفوف بتزكية النفس تخليةً وتحليةً وتجليةً.

خطر الأفكار الداعشية على الإسلام والإنسانية

د. عطية عدلان

الحمد لله .. والصلاة والسلام على رسول الله .. وبعد ..

ليس غريبا الربط بين الإسلام والإنسانية في هذا السياق؛ لأنّ الإسلام دين الإنسانية، فإذا ما كان هناك خطر من جهة ما على الإسلام فإنّه يكون في الوقت ذاته خطراً على الإنسانية، وعلى إنسانية الإنسان، وإذا كانت الكيانات المفرطة في الغلو والتنطع خطرا على الإسلام وعلى الإنسان فإنّ الخطر الأكبر يتمثل في الفكرة التي تنبت كالسرطان في جسد الأمة وفي الجسد الإنسانيّ كله، وتتسربل بالدين - أيِّ دين - وهي تضمر الكراهية لخلق الله أجمعين؛ لذا وجب التصدي للأفكار أكثر من غيرها.



ولنبدأ طرحنا بالحديث عمَا يتعلق بالجهاد، وهنا نقول: على الرغم من كوننا متعبدين بالحكم لا بالمقصد فإنّ إدراك المقصد الشرعيّ ضرورة فقهية وعملية؛ لأنّه يضبط البوصلة لدى تنزيل الحكم وسحب دلالته على الوقائع المختلفة، وإنّ لنا في كتاب الله تعالى أسوة، فإنَّ أول آيات نزلت في تشريع القتال هي هذه الآيات من سورة الحج، فتأملوها؛ لتروا كيف قُدِّمت المقاصد واحْتُفِيَ بها قبل نزول الحكم التكليفيّ: (أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ (٣٩) الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ (٤٠) (الحج).

وبهذا الصدد نحن بحاجة إلى أن نرجع إلى الوراء خطوة واحدة؛ فنطرح هذا السؤال الضروريّ: هل الجهاد الإسلاميّ غاية أم وسيلة ؟ وهو سؤال له ما بعده، ولا بد منه قبل الدخول في التفاصيل، ولنترك الآيات القرآنية تجيبنا عن هذا السؤال المهم: يقول الله عزّ وجلّ: {وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنِ انْتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ} [البقرة: ١٩٣] ويقول جلّ شأنه: {وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ فَإِنِ انْتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ} [الأنفال:٣٩]، فلو تأملنا الآيتين لتبين لنا أنّ الجهاد وسيلة لا غاية، فقد تحدثت الآيات الكريمات عن غايات القتال، وفصلت بينها وبين القتال بحتى الغائية، وحَتَّى هنا حرف غاية وجر، والمراد به التعليل»[1].

فالقتال إذن ليس غاية في ذاته، والقتل لمجرد القتل ليس مقصوداً ولا مراداً؛ لأنَّ الأصل أنَّ الإنسان بنيان الربِّ؛ فلا مسوغ لأحد في هدمه بغير حكم من الله واضح لا لبس فيه، وعندما يتولى القرآن الكريم تحديد الغاية والمقصد فلا مُتَّسَع لغايات ومقاصد تُولد من رحم الهوى أو تَنْبُت في أرض النزوات والنزغات، فليس من مقاصد الجهاد إرغام الخلق على الإسلام، وليس من مقاصده معاقبة الكافرين على كفرهم، ولا حملهم بحد السيف على الدخول في الإسلام، ولا يوجد في كتاب الله ولا في سنة رسوله ولا في كلام العلماء ما يمكن أن يكون دليلا لمن يدعي شيئا من ذلك وينسبه للإسلام.

(١) إعراب القرآن وبيانه ٢٨٢/١

ويترتب على هذا ضرورة التقيُّد بغايات الجهاد ومقاصده؛ بما لا يخرج به عن مقتضيات هذه الغايات والمقاصد التي من أجلها شُرع؛ فلا يصح بحال أن يتلبس المجاهد بظلم أو تعدّ بما أنّه مجاهد فمنهج الله تعالى لا يحابي أحداً مهما كانت منزلته؛ لذلك وجدنا حِبَّ رسول الله وابنَ حِبِّه يتعرض من رسول الله صلى الله عليه وسلم لهذا التأنيب الشديد عندما تأوَّلَ وقتل من نطق بالشهادتين: «يَا أُسَامَةُ، أَقَتَلْتَهُ بَعْدَ مَا قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ؟ » قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّمَا كَانَ مُتَعَوِّذًا مِنَ الْقَتْلِ. فَكَرَّرَهَا عَلَيَّ حَتَّى تَمَنَّيْتُ أَنِّي لَمْ أَكُنْ أَسْلَمْتُ إِلَّا يَوْمَئِذٍ»[٢]، ونزلت: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا} [النساء: ٩٤] .



واللافت للنظر بشدّة تلك اللفتة القرآنية الرحيمة العادلة: "كذلك كنتم من قبل فمن الله عليكم فتبينوا". أي تذكروا أنكم كنتم من قبل مثل هؤلاء الذين تسارعون إلى قتلهم إذا ظفرتم بهم، فمَنَّ الله عليكم واستنقذكم من الكفر ومن الاستضعاف؛ فتبينوا إذاً ولا تحرموا عباد الله ما منّ به عليكم، قال سعيد

---

(٢) صحيح البخاري (٥/ ١٤٤) صحيح مسلم (1/ ٩٧) مسند أحمد ط الرسالة (٣٦/ ٧٣-٧٤)،

بن جبير: معناه كنتم مستخفين من قومكم بإسلامكم، خائفين منهم على أنفسكم، فمنّ الله عليكم بإعزاز دينكم، وإظهار شريعتكم، فهم الآن كذلك، كل واحد منهم خائف من قومه، متربص أن يصل إليكم فلم يصلح إذا وصل أن تقتلوه حتى تتبينوا أمره[٣].



لذلك اتفق العلماء على تحريم قتل نساء الكفار وصبيانهم وَخَنَاثَاهُمْ ومجانينهم إذا لم يشاركوا في الحرب، ولم يكونوا مخالطين للمقاتلين، وعلى تحريم قتل الرسل المُوفَدِينَ مِن العدو لتبليغ رسالة أو لتفاوض أو ما شابه ذلك[٤]، ومستند الإجماع على عدم جواز قتل النساء والصبيان أحاديث صحاح، منها ما رواه الشيخان عن ابن عمر -رضي الله عنهما- «أنَّ امرأة وُجِدَتْ في بعض مغازي النبي -صلى الله عليه وسلم- مقتولة، فأنكر رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قتل النساء والصبيان»[٥]، قال النووي: «أجمع العلماء على العمل بهذا الحديث، وتحريم قتل النساء والصبيان إذا لم يقاتلوا»[٦]، ومستند إجماعهم على تحريم قتل الرسل ما رواه أبو داود والحاكم عن نعيم بن مسعود -رضي الله عنه- أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال لابن النواحة وصاحبه، اللذين أوفدهما مسيلمة إليه: «لولا أن الرسل لا تُقْتَل، لضربت أعناقكما»، قال العلماء: «ومضت السنة أن الرسل لا تُقتل»[٧].

---

(٣) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (تفسير ابن عطية)(٢/ ٩٧)

(٤) (الدر المختار ورد المحتار (٣/٢٢٤، ٢٤٤)، روضة الطالبين (١٠/٢٤)، منهاج الطالبين وشرحه للمحلي (٤/٢١٨)، منح الجليل (١/٧١٤)، المغني (٩/٢٤٩) تحقيق د. التركي - ط الثانية - القاهرة ١٤١٣هجرية ١٩٩٢م، الإنصاف (٤/١٢٨-١٢٩)، مطالب أولي النهى (٢/٥١٧)، زاد المعاد (٢/٧٥، ٣/٣٢)).

(٥) أخرجه البخاري (٣٠١٤)، ومسلم (١٧٤٤). اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان (رقم ١١٣٨)

(٦) شرح النووي على صحيح مسلم (١٢/٤٨)

(٧) عون المعبود (٧/٢٤٢)، المستدرك (٣/٥٣)، البداية والنهاية (٥/٥٢)، زاد المعاد (٢/٧٥، ٣/٣٢).

ويَلحق بالنساء والصبيان والرسل في تحريم قتلهم كلُّ مَن ليسوا محاربين، وهو قول الجمهور؛ من الحنفية، والمالكية، وأحد قولي الإمام أحمد، والشافعية في قول عندهم[٨]، وحجة الجمهور غاية في القوة والظهور؛ فقد احتجوا بالقياس على النساء والصبيان، بجامع انتفاء علة المقاتلة، فيبقى مَن لا يتأتى منهم القتال على أصل عصمة الدم، فيدخل فيهم الرهبان والشيوخ والزَّمْنَى والسُّوقَة من تجار وأصحاب صنائع وفلاحين وعسفاء (أُجَرَاء) ووصفاء (مماليك)، ومَن يُعَدُّ مِن المستضعفين؛ لأن مظنة عدم حدوث الضرر تقوم مقام عدم حدوثه حقيقة[٩].

والعامّ إذا خُصِّصَ جاز عند الجمهور تخصيصه بعد ذلك بالأقيسة، وقد خُصِّصَ عموم قتل المشركين بالنهي عن قتل الرسل والنساء والصبيان، فجاز التخصيص بعد ذلك بالقياس، وقالوا : ليس من غرض الشارع إفساد العالَم، وإنما إصلاحه، وذلك يحصل بقتل المحاربين، وليس المدنيين؛ لأن ما ثبت بالضرورة يتقدَّر بقدرها[١٠]؛ ومن هنا يترجح أنّ موجب القتل ليس مجرد الكفر، وإنّما الكفر مع الحرابة، وهو الصحيح الذي يجب المصير إليه، وهو المتفق مع المقاصد العامة لرسالة الإسلام.

هذه هي الأحكام الشرعية فأين هم منها، لقد قلبوا القتال من كونه وسيلة إلى كونه غاية في ذاتها، وجعلوا الكفر وحده مبيحًا للقتل، ولكي يتوسعوا في القتل اتخذوا التكفير بابًا إلى القتل الذريع، ولم يرحموا أحداً صغيرًا كان أو كبيرًا، رجلًا كان أو امرأة، محاربًا كان أو مسالماً، بل إنّهم قتلوا المجاهدين لمخالفتهم في الانتساب لتنظيم واحد، كأنّهم تألهوا على الناس يحكمون فيهم وينفذون دون وازع من عقل أو ضمير.

---

(٨) (بدائع الصنائع (٧/١٠١)، منح الجليل (١/٧١٤، ٧١٥) و شرح منهاج الطالبين (٤/٢١٨)

(٩) (تبيين الحقائق (٣/٣٤٥)، بدائع الصنائع (٧/١٠٧)، فتح القدير (٢٠٣-٥/٢٠٢)، بداية المجتهد (٣٨٥-١/٣٨٣)، جواهر الإكليل (١/٢٥٣)، حاشية الدسوقي والشرح الكبير (٢/١٧٦)، منح الجليل (١/٧١٤)، اللباب في شرح الكتاب للميداني (٤/١١٩)، المغني (١٨٠-١٣/١٧٨)، الأم (٤/٢٤٠)، الإنصاف (٤/١٢٨)، القوانين الفقهية (ص ٩٨). والتعبير بالسوقة في أسنى المطالب (٤/١٩٠)، وانظر معنى الوصفاء في الأحكام السلطانية للماوردي (ص ٤١)، المحلى (٢٩٧-٧/٢٩٦)).

(١٠) نصب الراية (٣٨٧-٣/٣٨٦)، منح الجليل (١/٧١٤)، مجموع الفتاوى (٢٨/٣٥٥)

لقد تضرر الإسلام والمسلمون من هذا الفكر المنحرف؛ إذ تشوهت صورة الإسلام لدى كثير من أعدائه، بل تشوهت لدى كثير من الخلق الذين نطمع في إسلامهم، وتشوهت كذلك صورة المسلم، ولم يعد بالإمكان تحقق القدوة به في الحياة، وتضررت فريضة الجهاد نفسها بحرفها عن مسارها وجعلها مجرد أداة لتحقيق المغانم وتنفيس الأحقاد، وتضررت الإنسانية إذ حُرمت من رؤية الحقيقة بسبب ما ران عليها من أفعالهم.



إنّنا بحاجة إلى إحياء الجهاد النظيف الذي تُراعى في مقاصد الشريعة ومصالح المسلمين وتتحقق به خيرية هذه الأمة، بعيداً عن صور الدعشنة والغلو.

وليس انحرافات الفكر الداعشي منحصرة في هذه الزاوية؛ لذلك سيكون لنا مقالة أخرى نتحدث فيها عن الانحرافات في ميدان السياسة الشرعية.

المقاومة الفلسطينية

حق و شرف وواجب



د. مجدي
شلش

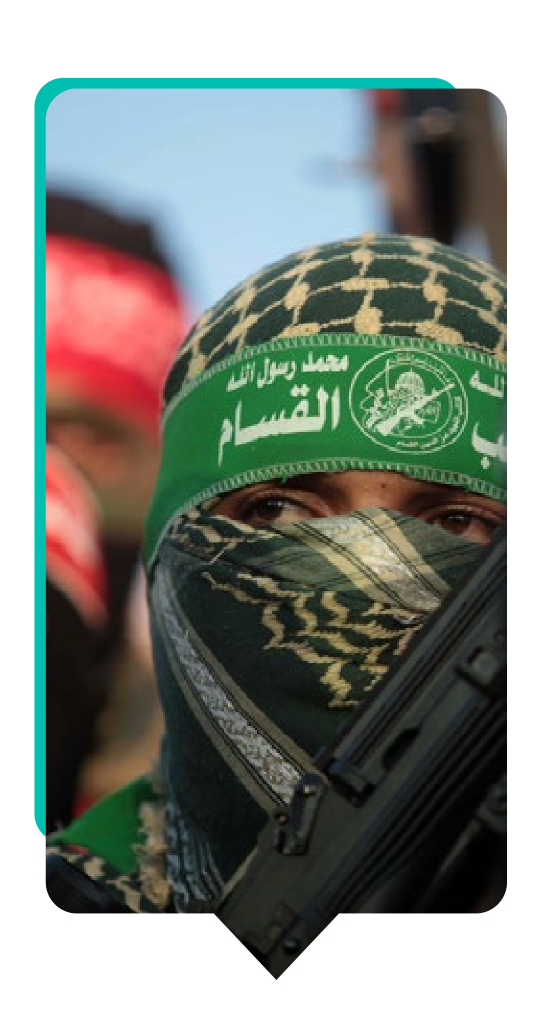
العالم الإسلامي الآن يعيش أصعب فترات حياته، ما بين غادر وخائن في الداخل، ومتربص للدوائر في الخارج، الأمة ضاع حكامها وفسدوا وظلموا وجحدوا وطغوا وباعوا إلا من رحم الله وقليل ما هم، فالذي تشبث منهم بالشهامة والعروبة والأخوة تنزل بهم النكبات والصواعق من كل مكان، أصبحت الحرب معلنة حتى ممن كان يظنهم البعض خداما للدين والشريعة، العمالة والخيانة والتردي نحو هاوية السقوط لا حد لها الآن، المنزلق تحت رحى العدو الصهيو أمريكي بسرعة البرق أو يزيد، لا أريد أن أزيد في التوصيف الذي يحسنه الكثير، لكنني أضع بعض إشارات للحل لعلها تنفع أو تدفع بعض الشر المريب.

من المعلوم الذي لا شك فيه أن المستهدف الأول في الطحن والإبادة المقاومة الفلسطينية الباسلة، التي وقفت ضد اليهود المغتصبين عدة سنوات رغم الحصار، لكنها لما كانت مقاومة متحررة من رجس العبودية إلا لربها وخالقها صمدت وقاومت وانتصرت، والعيب كل العيب على بعض قيادات التنظيمات الكبرى الذين باعوا مقاومتهم أمام أنظمة الظلم والاستبداد والانقلاب حتى هانوا ووهنوا واستجدوا الحياة الرخيصة من آكلي لحوم البشر، ومصاصي دماء الأمم.

" رغم أن المقاومة المصرية تقدمت وأبهرت ونازلت وغلت أيدي بعض السفهاء والبلطجية من كل نوع، لكن البيع تم، والصفقة انتهت مع أناس لا دين لهم ولا ضمير سوى العيش الذليل تحت أقدام العدو السفيه، لكن المقاومة الفلسطينية ما زالت حية وقادرة وصامدة رغم فعل الأفاعي من القريب والبعيد، ونحن الآن لا نعيش ترف الوقت والزمن، المسؤولية على الجميع إن مست آخر معاقل الصمود الحي المبارك غزة وغيرها، سواء كنا شرعيين أو سياسيين أو إعلاميين أو اقتصاديين أم ممن نحمل هم الأمة متمثلا في مقاومتها الحرة الأبية في فلسطين، وأرى أن الواجب الشرعي يحتم فعل الآتي لدعم هذه المقاومة الباسلة: "

أولا: علي السادة العلماء الأحرار الربانيين، الذين جعلوا الله وحده حسابهم، والمقاومة الحق توازنهم، أن يتواصلوا لتكوين جبهة علمائية مشتركة لدعم المقاومة من الناحية الشرعية بالبيان الساطع الذي لا لف فيه ولا دوران، ولا حساب فيه ولا توازن إلا مصلحة الأمة في دعم مقاومتها الصامدة، وتحريك الشعوب نحن المساندة والمعاضدة لها بكل قوة متاحة، وبيان الحكم الشرعي الواضح في كل من يخذل المقاومة أو يتآمر عليها حتى ولو كانوا آباءنا أو أبناءنا أو إخواننا أو عشيرتنا أو ممن يدعموننا بأموالهم أو من تجارتهم أو ممن نسكن في ديارهم، كل ذلك أمام دعم المقاومة الفلسطينية هباء، وما انتصر المسلمون في عهد المصطفى- صلى الله عليه وسلم - إلا بعد أن وقف الأب في وجه ابنه، والابن في وجه أبيه، فأصبحت الأخوّة دينا لا نسبا، أبو عبيدة - رضى الله عنه - قتل أباه في بدر، وأبو بكر قال لابنه لو وجدتك لقتلتك، ومصعب قال لأخيه عزيز هذا أخي دونك، قوم تحرروا من المال والسكن والعشيرة والأهل فانتصروا وعزوا وعلوا

هذا ندائي للعلماء الشرعيين على وجه الأرض، تحرروا كما تحرر آباؤكم من الصحابة والتابعين، وبيعوا أنفسكم لربكم كما فعل الغُر الميامين، تجمعوا تحت راية واحدة تصلح بكم كل الميادين، واخرجوا من بينكم كل همة عليلة، وأصحاب المصالح الدنيوية الحقيرة، نريد القلوب الطاهرة النقية عاشقة الشهادة والحور، الحياة لذتها في جهادها ودفعها ومقاومتها، الصحابة حرصوا على الموت في سبيل الله فوهبت لهم الحياة العزيزة الكريمة.



ثانيا: استراتيجية إعلامية مبهرة للقريب والبعيد من السادة الإعلاميين المجاهدين وما أكثرهم، الحمد لله نشم الخير من إعلامنا الحر المبارك، تطور في الأداء، ومهنية راسخة سدت بعض الفراغ، لكن تبقى الاستراتيجية الموحدة، والسياسات الضابطة والمحكمة من جميع إعلاميي الثورة والمقاومة، هيا يا أشاوس الكلمة والصورة والحركة بكل فنونها وأنواعها، هيا إلى ساحات الكلمة المقاوِمة، والروح المقاتلة، والدراما النافعة، مسلسل واحد قد يحيي أمة، حيا الله كل إعلامي يسعى لتكوين حلف إعلامي مقاوم، يسعى لسد الفراغ الجهادي والمقاوم.

تعلمون يا سادة لماذا تحارَب القنوات الحرة؟ لإعلامها المتميز الجبار، إعلام هز أركان الظلم والاستبداد، ومهد لوقوع العروش والكروش الظالمة المستكبرة، حيا الله كل إعلامي بارع مبدع مقاوم.

ثالثا: السادة السياسيون والاقتصاديون دوركم في دعم المقاومة كبير وجليل، العالم السافل يسعى لتحقيق صفقة القرن، هدم لدول، وضياع لأمم، وتقسيم

لمقسم، ونسف للدين، وحجر على الأمة في تصرفاتها وأحكامها، حتى تأتمر بأمرهم، وتحتكم لأخلاقهم السوداء العوراء المخبولة الخرقاء، فماذا أنتم فاعلون ؟



رابعا: مؤتمر عالمي عاجل لنصرة ودعم المقاومة الفلسطينية يحضره الأحرار من الشرعيين والسياسيين والاقتصاديين وغيرهم، تحت عنوان « المقاومة الفلسطينية حق وشرف وواجب » المقاومة الفلسطينية الآن مستهدفة، وهي في مرمى العدو الداخلي والخارجي، أغيثوها وادعموها قبل فوات الأوان، كفى ما كان، نبدأ صفحة جديدة تحت راية حفظ المقاومة وصون عرضها، ودعمها بكل غال ونفيس، فلا أمل بعد الله إلا فيها، هيا أرونا وحدتكم، وأبهرونا بقوتكم، القضية قضيتكم، والمقاومة شرفكم، أكلأ عصارة الأمة وزبدة مفكريها وعلمائها، النجدة للمقاومة شهامة ومروءة قبل أن تكون فرضا ولازما وواجبا.

هيا يا أحباب وكل حر، الميدان واسع للجميع، وفيكم الخطيب والسياسي والأريب، أنتم حملة الرسالة المقاومة، وأصحاب البيعة مع الله الراشدة، جاهدتم في كل الميادين، أجمعوا أمركم ثم أتوا صفا مع المقاومة دعما لها بقوتكم وعلمكم وتاريخكم، الله الله لو اجتمعت الأمة كلها تحت راية دعم المقاومة الفلسطينية شرعيا وسياسيا واقتصاديا وفكريا، يحبكم الله ويرضى عنكم ويؤلف بين قلوبكم بعد أن تحرضوا الأمة على قتال الباغي والمحتل قال تعالى: «إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَانٌ مَّرْصُوصٌ ».



هكذا علمني الجهاد

د. عبدالله عزام *
دكتوراه من الأزهر الشريف

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد : فلم يعد خافيا على ذي بصيرة أن الجهاد الإسلامي في أفغانستان أصبح مدرسة فذة يتلمذ فيها العالم الإسلامي أجمع. وقد شرفني الله أن أكون بين التلاميذ الذين ينهلون من معين هذا الجهاد، ويتربون على مساندته، وأستطيع بعد ست سنوات متواصلة من هذا الشرف العظيم أن أسجل على عجل وبخطوط عريضة بارزة القواعد الكبرى التي خلصت إليها من أفغانستان وفلسطين، فأقول:

* ننشر هذا المقال للدكتور عبدالله عزام بمناسبة ذكرى استشهاده رحمه الله يوم ٢٤-١١-١٩٨٩م

أولا: إن عقيدة القدر لا يمكن أن تتجلى واضحة في النفس البشرية في ميدان أكثر منه في ساحة الجهاد:

ولا يمكن أن تمثل عقيدة التوكل على رب العالمين حية بمثل أرض القتال وميدان النزال، وخاصة في قضيتي الأجل والرزق اللتين تمثلان أعظم عمودين في الحياة البشرية، وقد سطرت هذه العقيدة في صفحات الكتاب العزيز بآيات محكمات "وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُّؤَجَّلًا " [آل عمران : ٤١]. (وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ) [الذاريات : ٢٢]

والناس يوحدون الله بهذه العقيدة (عقيدة الأجل والرزق). توحيد ربوبية (التوحيد العلمي)، ولكن النقلة البعيدة من توحيد الربوبية إلى توحيد الألوهية (التوحيد العملي)، فهذا الذي يتكفل الجهاد به بتحويل الكلمات إلى توكل يتمثل في مواقف فريدة يخاطر فيها على النفس والمال والحياة، وعندها يصبح المؤمن جبلا راسيا تهتز الأرض كلها دون أن يميد أو يتأرجح.

وقــد رأينا هذا من خلال النماذج التي تتسابق على الموت وتبكي حين تُمنع من دخول المعارك في أرض أفغانستان، ويعبر عنه سفي الله أفضلي الذي مكث ثماني سنوات لا يدخل معركة إلا في الصفوف الأولى، فراجعه المجاهدون في هذا فقال: ألم يقل الله عز وجل: فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ. [النحل: ٣٤]

وتوضحه كلمة سيد علاء الدين قائد في ميمنة/ فارياب "لا يمكن النوم بدون الجهاد".

يلذ لأذني سماع الصليل ** ويبهج نفسي مسيل الدما

وأما الرزق فإنك تعجب من توكل الأفغان بشأنه، فقد قال لي سياف ذات مرة: "أجلس أحيانا لأنظم مساعدة الجبهات وتأمين طعامها فينحسر تفكيري

وأقف حائراً أمام معضلة لا أستطيع حلها، فأتركها لرب العالمين يدبرها ويرتبها".

وعقيدة التوكل على الله التي بناها الجهاد الأفغاني تريد أمريكا أن تزعزعها في قلوب المسلمين، فتصور نفسها وصية على الجهاد.



العقدة الكبرى

إن أكبر عقدة في حياة الدعاة هي عقدة الخوف (الخوف على الرزق والأجل)، فإذا انحلت هذه العقدة انحلت العقد كلها، وفي هذه الأيام أصبحت عقدة المخابرات هي العقدة التي أحالت الدعوة والحركة إلى إشارات خفية وألغاز معماة سرية، وذلك لأن المخابرات يمثلون شبحًا مريبًا بمطاردة الدعاة في سباتهم، ويقض عليهم مضاجعهم وذلك خوفا علي رزقهم أو أجلهم، والجهاد تحرر من جميع العقد، والحمد لله لقد من الله علينا بالتحرر من هذه العقدة، فعندما يقولون لي فلان من المخابرات فكأنما يقولون لي: أبو تمام مدح المعتصم، أي لم تعد تثير في اهتماماً ولا تحرك في أعماقنا أية مخاوف.

ثانيًا: العزة : ومما علمني الجهاد أن المسلم أعز مخلوق في الأرض إذا كان مجاهدا، لأن أعز ما يملك المرء هي الروح، وهو يخاطر بروحه ويعرضها كل يوم إلى خالقها ليتسلمها، فكيف يمكن لهذا الإنسان أن يحني هامته أو يذل عنقه لإنسان، وصدق في الله العظيم: (وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ) [آل عمران: ١٣٩] .

والعز في صهوات الخيل مركبه ** والمجد ينتجه الإسراء والسهر

وقد علمني هذا الدرس ذلك الشيخ الأفغاني في مخيم ناصرباغ عندما تقدم نيكسون ليصافحه، فقال: لا أصافحه - وإن كان رئيسا لأمريكا - لأنه كافر. وكذلك علمني إياه حكمت يار عندما رفض أن يقابل ريجان رغم أن ريجان هو الذي طلب مقابلته.

ثالثاً: حقارة الحياة وصغرها في نظر المجاهد: كما جاء في الحديث الصحيح "لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى منها كافرا شربة ماء". وهذا يتفق مع نفسية المجاهد وارتفاع اهتماماته وعلو مكانه، وهو ذروة سنام الإسلام، فهو ينظر إلى الأرض ومن عليها فتبدو صغيرة ضئيلة في نظره. يقول سياف لأحد أبناء الحكام: "والله إن مائة عرش مثل عرش أبيك لا أعدلها بلحظة من لحظات الجهاد".

رابعًا: وتعلمت أن الحياة الحقيقية في حياة الجهاد والمجاهد. ولذا فإني أعد عمري الآن سبع سنوات وهي التي قضيتها في الجهاد، ست منها في أفغانستان وسنة وبضعة أشهر في فلسطين، وهذا يتفق مع رأي بعض المفسرين في معنى الآية: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ. [الأنفال ٢٧] استجيبوا لما فيه حياتكم وهو الجهاد. خامساً: وعلمني الجهاد أن الإسلام شجرة لا تعيش إلا على الدماء، فإذا جفت الدماء ذوت عروق هذا الدين وذبلت واضمحلت وضمرت.

سادساً: وخرجت من الجهاد بيقين أن الجهاد ضروري جدا للحركة الإسلامية، وكذلك فالحركة الإسلامية ضرورية لإشعال زناد الجهاد وقيادته، والشعب ضروري للحركة الإسلامية حتى يستمر جهادنا بهذا الوقود وهو الشعب، فإذا لم تجاهد الحركة الإسلامية تآكلت واشتغلت ببعضها، ودبت بينها الفتن، وانتابها التشقق والتمزق، لأن الفراغ قاتل للنفس والمجتمع.

والحركة الإسلامية تمثل الصاعق (البادئ) الذي يفجر أطنان المتفجرات، فالشعب هو المتفجرات، والحركة الإسلامية هي الصاعق الذي يشعلها ويفجرها، ولا تستطيع حركة إسلامية مهما كانت أن تواصل حربًا طويلة الأمد ضد دولة ولو كانت صغيرة، فضلاً عن أن تقف سنوات أمام دولة كبرى، والحركة إذا عزلت عن الشعب فقد قضت على نفسها بالموت، كالغصن إذا قطع من شجرته مهما كان ناضجا كبيرا فإنه يذبل ويموت.



وكثرة الثقافة لحركة دون جهاد جد خطير على النفوس، لأنه يقسي القلوب ويورث الجدل.

سابعاً: إن هذا الدين لا يفهم إلا من خلال الجهاد به لإقراره واقعا على الأرض:
والذين يقضون حياتهم بين صفحات الكتب وأوراق الفقه لا يمكن أن يدركوا طبيعة هذا الدين إلا إذا جاهدوا لنصرته، فهذا الدين لا يفهم أسراره فقيه قاعد. "وإنه لجهل فاضح بطبيعة هذا الدين أن يفهم أحد أنه يستطيع التفقه في هذا الدين وهو قاعد يتعامل مع الأوراق الباردة، ولا يستنبط الفقه من قوالبه الجامدة، إن الفقه لا يستنبط إلا في مجرى الحياة الدافق، ومع الحركة بهذا الدين في عالم الواقع". [سيد قطب].

وهذا يتفق مع فهم الحسن البصري والطبري ورواية عن ابن عباس رضي الله عنهما للآية "فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ" (التوبة: ١٢٢)

إن الفرقة التي تتفقه هي الفرقة النافرة للجهاد؛ ولذا كان المسلمون إذا أعضلت عليهم مسألة يقولون اعرضوها على أهل الثغور، والحق أن الفرقان بين الحق والباطل لا يحصل إلا للمتقين، يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا . (٢٩ الأنفال).

يقول ابن تيمية: "الواجب أن يعتبر في أمور الجهاد برأي أهل الدين الصحيح الذين لهم خبرة بما عليه أهل الدنيا، دون الذين يغلب عليهم النظر في ظاهر الدين فلا يؤخذ برأيهم، ولا برأي أهل الدين الذين لا خبرة لهم بالدينا". أي لا يسأل عن الجهاد إلا العلماء المجاهدون.

" إن الدينونة لهذا الدين هي التي أنشأت المجتمع المسلم، والمجتمع المسلم هو الذي أنشأ الفقه من خلال الحركة الواقعية بهذا الدين. "

ثامناً: وعلمني الجهاد أن الدولة الإسلامية لا يمكن أن تقام إلا من خلال جهاد شعبي طويل تتميز فيه أقدار الناس وتتعدد مقاماتهم، ولا يبخس الناس بعضهم مقادير بعض، ومن خلال هذه المسيرة تبرز القيادات الحقيقية من خلال الشجاعة والتضحية، ويكون الخليفة أحد هؤلاء المجاهدين، ولقد كان ميزان التفاضل بين الصحابة عدد الغزوات والسرايا التي شهدوها، ولذا لم يحتج أبو بكر عند إجماع الأمة على انتخابه خليفة إلى تزكية أحد أو إلى دعاية انتخابية.

ميزان التفاضل الآن بين الأفغان هو عدد السنوات التي قضاها في المعركة، فلا يستطيع أحد مهما كان جاحدا أن ينكر جهاد أحمد شاه مسعود، وجلال الدين حقاني، ومولوي أرسلان، وفريد، وإنجنير بشير أحمد، وإنجنير ضياء (هرات). وقومندان أمير قندوز ولالامالنج (قندهار). وأرين بور/ بدخشان.

تاسعاً: وعلمني الجهاد أن الدولة الاسلامية التي تقوم من خلال الجهاد لا يمكن القيام بانقلاب عسكري عليها، لأن الناس كلهم يحملون السلاح، ولأن مقادير القيادة فيها برزت من خلال أعمالهم وصبرهم وتضحياتهم.



ولأن الوصول للسلطة لم يكن في الظلام من خلال الدس والمؤامرة، وإنما جاء واضحاً كالشمس في رابعة النهار، والقيادة هي أصلب الناس عودا، و أصفاهم عنصرا، وأصدقهم لهجة، وأبسطهم عيشاً. وهذه القيادة دفعت ثمنا غاليا لإقرار الدولة، فلا يمكن أن تفرط بها، والقيادة التي يفرزها الجهاد قيادة جاءت من صفوف المجاهدين عاشت على الشظف والخشونة والتقشف والزهد مع المجاهدين، وتستطيع مواصلة العيش على هذا النهج.

"ويدرك الذي يدخل بيت سياف أو حكمت يار ويونس خالص ورباني، أن زهد عمر بن الخطاب أو عمر بن عبد العزيز رضي الله عنهم يمكن أن يعود وفي بيت أمير المؤمنين في القرن العشرين، لقد اطلعت على مصروف حكمت يار وعائلته فوجدته أقل من أربعمائة ريال شهريا."

عاشراً: وعلمني الجهاد أن الجهاد أفضل وسيلة لتربية النفس البشرية،

إذ إن الخطر يعري الفطرة لبارئها وأهوال الحرب تفتح القلب للاتصال بخالقه، وهنا وفي حرارة المحنة ومرارة التجربة تسخن النفس فتصبح مطاوعة لينة تستجيب للأوامر، كالحديد إذا سخن يصبح مطاوعاً، فالجهاد يصقل النفس ويخلص الروح من أوشابها. ويملأ الجهاد الحس البشري بالرهبة والروعة، كما يعلوه بالحذر واليقظة، ويملأ النفس البشرية بالتوجس والتوقع للموت في كل لحظة. ليخرجوا من الغفلة التي ينشئها الرخاء والنعمة، عرفت هذا في سلوك سازنور (ننجرهار) الذي يدفع ثمن الطعام من الغنيمة قبل أكله، حتي الكفار يضرعون إلى الله أوقات الشدة،

فقبل أسبوع تقريبا نزلت طائرتان روسيتان في منطقة شترال الباكستانية. فكان مما قاله الطيار الروسي: (**إن أكثر ما يخيفنا صاروخ ستنجر، ولكننا نتعوذ منه بنصوص من كتابكم المقدس علمنا إياها الشيوعيون الأفغان**).

حادي عشر: وتعلمت أن الجهاد هو أكبر عامل لتوحيد الأمة الإسلامية ولم شتاتها وجمع شعثها، فلا توجد قضية في الأرض الآن تشد أعصاب الأمة وتستحوذ على اهتماماتها أكثر من الجهاد الأفغاني، وهذا ألاحظه من خلال الرسائل الكثيرة التي ترد إلى مجلة الجهاد من كل مكان في الأرض.

ثاني عشر: وتعلمت أن القيادة والمسؤولية لابد أن تسلم للمخلصين الصادقين، فهؤلاء هم صمام الأمان لصيانة أرواح الناس وأعراضهم وأموالهم، ولقد رأى بعض قادة الأحزاب أن يمدوا القيادات التقليدية التي كانت أيام ظاهر شاه الذين يسمون في أفغانستان (أرباب ووكيل) ولكن هؤلاء لم يستطيعوا مواصلة السير على الطريق، وتراه بين العشية وضحاها ينضم مع أسلحته وقريته وجبهته إلى الدولة الشيوعية عند رؤية بارق طمع أو لمح عرض من الدنيا القريبة.

ثالث عشر: وأدركت من الجهاد أن التربية ضرورة ماسة قبل حمل السلاح، وإلا فإن الذين يحملون السلاح دون تربية يصبحون كالعصابات المسلحة يؤرقون أجفان الناس، وتهدد أمنهم وتروعهم ليل نهار، وأنت تدرك هذا عند المقارنة بين قائدين في أفغانستان أحدهما تربى في الحركة الإسلامية والآخر لم يتلق التربية. فتجد الناس جد مرتاحين في منطقة الأول، أما الثاني فشكوى الناس لا تنقطع عنه.

رابع عشر: وتعلمت أن الصبر عمود الجهاد بل رأس هذا الدين ولا جهاد بلا صبر، وبإمكانك أن تدرك هذا من الذين أمضوا عشر سنوات في الجهاد مع الجوع والعري والمرض، وإنه ليذهلك وأنت تسمع قصة فتح قلعة المار فارياب، التي تقع في سهل شاسع لا يمكن المجاهدين التسلل

إليها، فيحفر المجاهدون خندقا عميقاً بسير فيه الراكب دون أن يرى، طوله عشرة كيلومترات، يستمر حفره سنة ونصف حتى يدخلوا القلعة من تحت الأرض ويفتحوها بإذن الله.



خامس عشر: علمني الجهاد أن الهالات الضخمة التي ترسم حول الدول الكبرى كأمريكا وروسيا، لا تساوي شيئا أمام قوة رب العالمين وتأييده للمؤمنين، ومن كان في شك مما أقول فليسأل الروس عن هلعهم ورعبهم من المجاهدين الأفغان، لقد بدد الجهاد الأفغاني أسطورة روسيا.

وسبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك



ربيع الثورات العربية

د. ناصر العمر (فك الله أسره) [١]

بسم الله الرحمن الرحيم، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

" أيها الإخوة الكرام: فإنني أشكر أخي فضيلة الشيخ الدكتور سفر الحوالي رئيس الحملة العالمية لمقاومة العدوان على دعوته الكريمة للمشاركة في هذا المؤتمر الطيب المبارك الذي تعقده الحملة في تونس في محرم الحرام من عام ١٤٣٣ للحديث عن ربيع الثورات العربية، ويؤسفني أنني لم أتمكن من تلبية هذه الدعوة لظروفي الخاصة. "

(١) تاريخ نشر المقال ١٢ محرم ١٤٣٣، موقع المسلم، **رابط إلكتروني**.

كما أشكر كل من أسهم في الإعداد لهذا المؤتمر وشارك فيه، وأسأل الله جل وعلا أن يجزي الجميع خير الجزاء.

حديثي لكم أيها الأخوة لكم في هذه الدقائق القليلة يتلخص في المحاور التالية:

أولا أهنئ إخوتي في تونس، (منطلق التغيير) في الأمة، بعد حقب الظلم والغمة، وأسأل ربي أن يجعل العواقب حميدة، وأن ينعموا بالأمان والاستقرار وحكم الإسلام، كما أهنئ تلك الشعوب التي صدعت بالحق ورفعت الظلم، وأسال الله أن يتم النصر وأن يزيل الطغيان وأن يحفظ دماء المسلمين وأعراضهم وأموالهم.

إنها سنة الله التي لا تتغير ولا تتبدل، فهو سبحانه يمهل ولا يهمل وكم مر على الناس من أزمنة غلبهم فيها اليأس، ورأوا أن لا زوال لهذا الطغيان في المنظور القريب، فإذ بالأصنام تتهاوى وإذا بالطغاة يتساقطون (فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ) الدخان: ٢٩، (وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ) إبراهيم: ٤٢، (لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ) يوسف: ١١٠ .

لقد غلب الواقع التنظير، والشعوب العربية المسلمة بفطرتها ونقائها تخطت الجماعات السياسية الإسلامية وغير الإسلامية بتنظيراتها وتعقيداتها وحساباتها السياسية والحركية. فصارت الشعوب في الطليعة، وأوقدت الشعلة وقدمت الدماء والأرواح والمهج، تبتغي رفع الظلم وتحقيق الأمن وسيادة الشرع.

علينا أيها الأخوة ويا أيتها الأخوات بعد ما منّ الله علينا بزوال الطغيان ألا نركن إلى الأسباب الأرضية، سواء كانت قوى غربية أو شرقية، أو إلى النفس أو إلى الكثرة أو إلى تأييد الناس قال تعالى (وَاذْكُرُوا إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ ...).

وبعد أن هدأت الأمور وزال الطغاة بحمد الله، جاء واجب الجماعات الإسلامية التي برزت إلى الصدارة وقدمتها الشعوب إلى الميدان، فماذا يا ترى هي فاعلة؟ وكيف لها أن تسوس الناس وفق شرع الله؟ إنها تحديات ضخمة، وهم أهل لها بحول الله طالما جعلوا رفع كلمة الله مبتغاهم وطالما كانت محبة الله ومخافته سبحانه دافعهم، وطالما تمسكوا بمبادئهم وأحسنوا سياسة الناس والنظر إلى الأمور بواقعية دون تنازل وتهاون، أو تشدد وجمود، ﴿وَلا تَهِنُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الأَعْلَوْنَ﴾ [آل عمران: ١٣٩].



علينا أيها المستمعون الأفاضل أن نحذر من الزهو بما تحقق لنا على أرض الواقع، فهو مفضٍ إلى الاعتقاد بأن النجاح في حصد بطاقات الناخبين دليل على صحة المنهاج أو قوة الفكر أو جودة الخطاب، وهو وإن كان يشير أحياناً إلى شيء من هذا فإنه لا يدل بالضرورة عليه، وإلا لما حازت أحزاب علمانية لأرقام عالية هي الأخرى، والعبرة ليست بقوة الحشد، ولا بقلته؛ بل مدى اقتراب التطبيق من الفكرة.

إن التحديات الكبرى الآن هي تحديات داخل النفوس، ومتى ما أفلحنا في التغلب عليها كان ذلك سبيلاً للنجاح في غيرها.. فمن ذلك تجاوز نفسية وذهنية الاستضعاف إلى أخلاق ونفسية الاستخلاف.. وتجاوز حالة الاغتراب الى الانفتاح على المجتمعات وهي مسألة تحتاج إلى صلة بالله قوية وبالقرآن تلاوة، وتدبرًا واستنطاقًا بما يتفاعل في النفس والمجتمع.

يبقى للعلماء في هذه الظروف دورهم الرباني ودورهم القيادي في البيان والإصلاح والإرشاد والتقويم. ومهما كانت قوة الجماعة الإسلامية فإن من الحكمة مشاورة أهل العلم في الأمة، واعتبار آرائهم وتوجهاتهم ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾. [البقرة: ٢٦٩].

إنه يجب أن لا تخلط الجماعات الإسلامية عند مباشرتها للعمل السياسي في موقع الحكم بين الأمور، فإن من أكبر التحديات القدرة على ملء فراغات النظم السابقة في كل طبقات العمل العام، وتحدي تقديم النموذج الإسلامي الناجح في ظل تسلم دول كانت على حافة الإفلاس والانهيار، وهذا يحتاج إلى استنفار جميع الطاقات كل فيما يحسن ويستطيع، فيجب أن تسند المهام التنفيذية التي تمس واقع الناس وحياتهم واحتياجاتهم إلى الناس الأكفاء ذوي القوة والأمانة ﴿إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ﴾ [القصص: ٢٦].

فالصلاح والديانة دون خبرة ودون تجربة ودون معرفة لا تكفي لإدارة الأمور وسياستها، فلنحذر من توسيد أمور لغير أهلها تأسيساً على الثقة لا الكفاءات، وربما ظهر بعض من ذلك في كثير من اختيارات المرشحين في الانتخابات.



وليس القصد من هذا الركون إلى أصحاب الخبرات من ذوي التوجهات المعادية أو اللادينية، لكن عامة الشعوب المسلمة فيها خير كثير وقدرات جبارة، وإن لم تكن منتسبة لحزب إسلامي أو جماعة إسلامية أو حركة شرقية أو غربية، والانتصار الذي تحقق إنما قدمته الشعوب المسلمة، ولم يقدمها حزب أو جماعة فيجب العدل والترفع عن مستوى الحزبية الضيقة.

أما التحدي الآخر فهو العلاقة بين الجماعات الإسلامية في ميادين الانتخابات وفي موقع الحكم أو المعارضة. فالثورات وضعت الإسلاميين في تحدي التعامل البيني، وسلبيات التنافس، والقدرة على التنسيق، والتغافر، والقابلية للتنوع وقبوله في التعاطي مع القضايا السياسية. فكيف سيكون واقع الجماعات الاسلامية مع بعضها؟ وكيف للعقل أن يغلب العاطفة؟ وكيف لنا أن نقدم المصالح الكبرى للأمة على المصالح الحزبية الضيقة لهذا الحزب أو ذاك؟ وأين مكان الإقدام وأين مكان الإحجام في التعاون مع غيرنا في ميادين الحكم والمسئولية؟

"ومن التحديات في هذه الظروف التحديات الإعلامية: فكيف ندير معركتنا الإعلامية في مراحل العمل بكفاءة واقتدار؟ إنه لابد لنا أن نشرح للناس مبادئنا وبرامجنا السياسية بأصالة وقوة ولكن دون ترهيب أو تنفير. ويجب أن نعرف كيف نتعامل مع وسائل الاعلام: متى نتكلم ومتى نسكت وكيف نجيب على اعتراضات الخصوم وتشغيباتهم."

وفي هذه الأجواء الاحتفالية والتحركات المفعمة بالسياسة والإدارة، قد نغفل عن الجوانب التربوية والتعليمية والمناشط الاجتماعية فيؤثر ذلك لاحقًا على الهدف الأصيل، هو دعوة الناس وهدايتهم وتعبيدهم لرب العالمين فلنحذر من ذلك.

وختامًا أيها الإخوة وأيتها الأخوات، مَن يتولى المسؤولية فهو في اختبار صعب، ونجاحه نجاح للأمة وفشله لا قدر الله محسوب على الأمة ودعاتها، فلنتقِ الله ولنكن من الصادقين،(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ).

أسأل الله لكم التوفيق والسداد في مؤتمركم وأن يجعل اجتماعكم اجتماعاً مرحوماً، وتفرقكم من بعده تفرقاً معصوماً، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

أختي (رنا الأسمر)..

لقد ماتت فينا الرجولة

حامد عبدالعظيم

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على نبينا محمد الذي لا نبي بعده، وبعد:

فلا يمر أسبوع أو شهر إلا وتسمع بواقعة جديدة في بلاد غير المسلمين وخاصة البلاد التي يوجد فيها العرق الأبيض، مؤخرًا رأينا حادثة تعدي أحد العلوج البيض الأستراليين على سيدة مسلمة مسالمة (اسمها رنا الأسمر - ٣١ عامًا) كانت تجلس في مطعم مع صديقاتها المسلمات المحجبات، فإذا بهذا الجبان يتعدى عليها بالصراخ والضرب باللكمات في وجهها والركلات في رأسها وجسدها، حتى أسقطها أرضًا وواصل الضرب بإجرام ولم يرحم كونها حُبلى في شهرها التاسع (رابط للفيديو).



فماذا فعل المسلمون؟ مجرد تنديدات جوفاء، لكن لا شيء على الأرض، رغم أن هذه الحادثة مصورة وكفيلة أن تجعل مسلمي أستراليا (قرابة المليون مسلم ومسلمة) يخرجون في مسيرات لا يرى أولها من آخرها حتى لا تتكرر هذه المأساة مرة أخرى، لكن لم يحدث شيء من ذلك.

تُرى ماذا لو حدثت تلك الحادثة ليهودي؟ لكان أمسك بها اليهود واستنفروا جماعات الضغط التابعة لهم على مستوى العالم للتحرك في مسيرات دورية، وللظهور في القنوات الإعلامية واللقاءات الصحفية، وللحديث على مواقع التواصل الاجتماعي بصورة ممنهجة لا تتوقف، ولوصل فيديو الاعتداء إلى كل بيت في العالم.

> فلماذا لم يفعل ذلك المسلمون؟ هل هانت أرواحنا ودماؤنا وأنفسنا إلى هذا الحد؟ هل أصبح التعدي على أخواتنا ونسائنا أمرًا عاديًا وطبيعيًا؟ هل ماتت فينا النخوة والرجولة والشهامة؟ ثم تسأل لماذا تتكرر حوادث التعدي على المسلمين في أنحاء العالم؟!

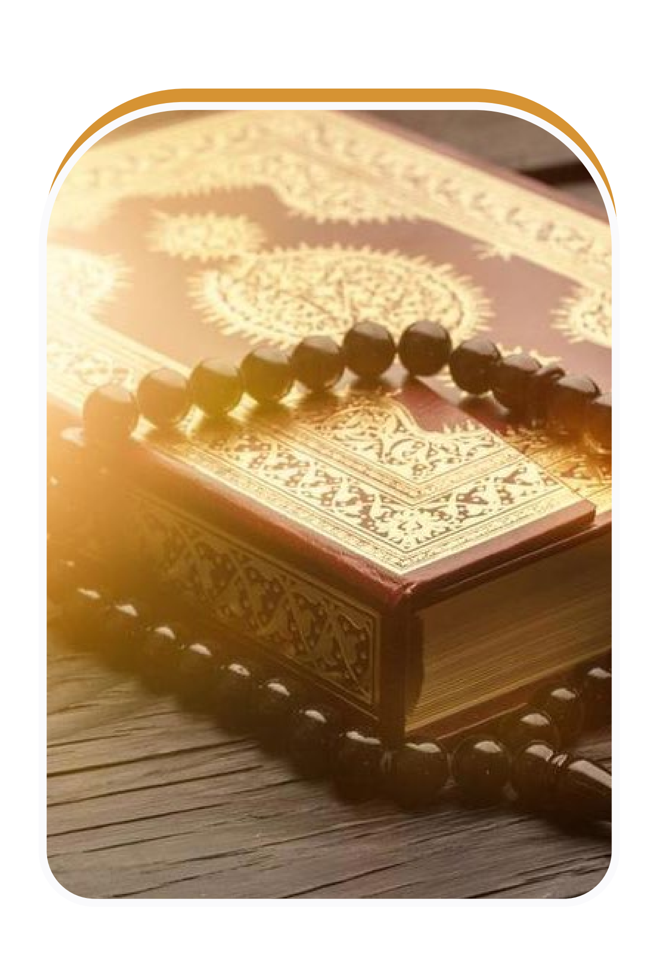
نحن نتوقف مع هذه الحادثة لأننا لا نريدها أن تتكرر مرة أخرى، هذا العلج الاسترالي ينبغي الترصد له وكسر يده ورجله التي تعدى بهما على أختنا المسلمة، حتى يكون عبرة لمن يعتبر وحتى لا تراوده ولو في أحلامه فكرة التعدي على امرأة مسلمة، وحتى يتعظ به كل كافر نجس يظن أن المسلمات مستباحات لكل حقير. إذا حدث هذا وصُور وانتشر وتداولته وسائل الإعلام، سيلزم كل جبان حده، وتمشي المسلمات شامخات الرأس عزيزات، يخاف كل خسيس أن يتعدى عليهن فيكون مصيره كسر يده أو رجله. كل هذا بالطبع إذا لم تعاقبه السلطات بالعقوبة اللازمة، أما إذا عوقب بعقوبة شافية للصدور فبها ونعمت، لكن إن قضى أيامًا أو دفع غرامة مالية زهيدة وخرج كأن لم يفعل شيئًا، فحينها ينبغي أن يذوق من نفس الكأس.



عار على كل مسلم لم يتحرك من أجل الاعتداء على أخيه أو أخته المسلمة، ونحن نتكلم هنا ونركز أكثر على النساء، لأنهن ضعيفات، فالرجل يمكن أن يدافع عن نفسه ولكن المرأة لن تتمكن، عار على المسلمين في مكان اعتُدي فيه على مسلمة ولم ينظموا مظاهرات تنديدية أو مسيرات لمقر الحكومة والبرلمان والرئاسة وغيرها من الأماكن المؤثرة باعتبار أن المسؤولين في البلاد هم المنوط بهم إيقاف هذا الأمر، عار على المسلمين في مكان اعتُدي فيه على مسلمة السكوت أو التنديد الضعيف الذي يتوقف بعد أيام قليلة، عار عليهم عدم التحدث عن الأمر بجدية ونشره في كل مكان، عار عليهم عدم تداول صورة الجاني وفضحه في كل مكان ووصفه بالجبان والإرهابي، عار عليهم عدم الهجوم على اليمين المتطرف وأحزابه وحركاته التي تغذي هذا الفكر وتحث معتنقيه على استهداف المسلمين والمسلمات، عار عليهم أن يكونوا دائمًا في خانة المتهم، عار عليهم ألا يكونوا في تحرك دائم ودوري وثابت لمقاومة الإسلاموفوبيا والتذكير بالحوادث التي حدثت في كل بلد وتفعيل ذكراها كل عام عن طريق الندوات والمسيرات والإعلام ومواقع التواصل... إلخ

إن المسألة ليست مسألة هذه الأخت فقط، ولكن الحديث هنا عام لكل المسلمين في أوروبا وأستراليا وأمريكا ونيوزلاندا وكل بلاد العالم غير المسلم، أنت غير مطالب بالتحرك على الأرض من أجل مسلمين في بلد آخر، فهذا نموذج أصبح بعيدًا رغم وجوبه، ولكن على الأقل لا يمكن أن يُتعدى على مسلم أو

مسلمة بدافع ديني أو عرقي وتسكت أنت على ذلك، لأنك إن لم تتحرك لن يتحرك أحد فأنتم أقلية ولا يمكن لكل فرد أن يعتمد على الآخر، لذلك وجود التنسيقيات المخصصة لرصد حوادث الاعتداء والتفاعل السريع والفوري معها هو أمر ضروري وعاجل، وحدة متخصصة لرصد الحوادث -ولو كانت اعتداء بالكلمة- وتسليط الضوء عليها وبدء التحرك الآني لمواجهتها، أما إذا علم أمثال هؤلاء الأنجاس أن المسلمين يحدث لهم الضرر فيسكتون، فحينها لا تستغرب وقوع هذه الحوادث يوميًا، فمن أَمِنَ العقوبة أساء الأدب. تمامًا كما فعل الخنزير الأسترالي الذي قتل **٥٣** مسلماً ومسلمة في مسجدين بنيوزلاندا، فهو يعلم يقينا أنه لن يُقتل ولو قتل مليون إنسان ولذلك أقدم على فعلته.



ولكن مع هذه العتمة والقهر يظل النور الإسلامي ساطعًا في النفوس وباقيًا، فيبرز أحد أبطال الإسلام في شمال القارة الأوروبية وبالتحديد في النرويج، عندما أقدم كلب من كلاب اليمين المتطرف على حرق نسخة من القرآن الكريم، فإذا بهذا البطل المسلم يقفز نحوه مسددًا ركلة له، وإذا بهذا الكلب النرويجي يهلع ويظهر على ملامحه الخوف الشديد والارتجاف، وأرى أنه لن يفكر هو أو من شاهده من رفاقه المتعصبين في الإقدام على ذلك مرة أخرى أبدًا في حياتهم.

أعلم يقينًا أن قرآننا باقٍ في القلوب والصدور ويحفظه ملايين المسلمين عن ظهر قلب، وأن حرق نسخة منه لن يؤثر عليه أو على مكانته في شيء، فهو ليس كتابًا هزيلًا محرفًا مثل ما يسمى الكتاب المقدس الذي لا يدرون حقيقة شخصيات رواته ولا يوجد له إسناد متصل ولو واحد فقط ولا يحفظه أحد من

النصارى تقريبًا، أنا أعلم كل هذا، ولكن على الرغم من ذلك لا يمكن التسامح مع حركة رمزية كهذه، والذي قام به هذا البطل المسلم (أسأل الله تعالى أن يجعله في ميزان حسناته وأن يفرج عنه فقد اعتقلته الشرطة النرويجية) سيجعل الكثير يحجمون عن فعل هذا مرة أخرى خوفًا من هجوم أحد الأشاوس عليهم كما فعل ذلك البطل. (رابط للفيديو).

إنه "الردع" يا سادة، الذي يوقف الإنسان المتجبر عند حده، فالإنسان المتجبر لا يتوقف عن تجبره إلا إذا رأى خطرًا على نفسه، فهو جبان جدًا لو أحس بهذا، فتجد هذا الطاغي الجبار الفرعوني قد تحول إلى قط هزيل مبلل بالماء وأصبح كل ما يرجوه هو نجاته.



ومن أجل ذلك تحديدًا شرع الله سبحانه وتعالى الجهاد، فالجهاد يحفظ للأمة عزتها ولا يجعل كل من هب ودب يتعدى عليها، مهما كان جبارًا في الأرض، بل يبقيها شامخة يعلم الجميع أنها أمة قوية تسترخص أرواحها في سبيل إبقاء رأسها عالية مستعصية على الانحناء والمذلة لأي أحد، سوى خالقها عز وجل.

إن الله تبارك وتعالى هو خالق كل شيء، لذلك هو يعلم جل في علاه ما يردع مخلوقاته، وما يجعل العلاقة بينها متوازنة تقوم على الاحترام المتبادل،

خاصة عند انعدام الدين والضمير، فلو كان البشر صالحين ويخافون الله تبارك وتعالى لما شرع الله تعالى الجهاد، ولكن لأن هناك حزب الله وحزب الشيطان، ولأن هناك من لا يردعه الدين أو توقفه عند حده الأخلاق، كان لابد من شرع الجهاد لردع جنود الشيطان في كل مكان وزمان، وإلا سيكون الصالحون وجند الله تعالى أذل الناس وأكثرهم عرضة لانتهاك الأعراض واغتصاب الأموال واستباحة الأرض والخيرات.



أختم مقالتي هذه بحديث النبي صلى الله عليه وسلم، والذي أوتي جوامع الكلم، يقول عليه السلام: (إِذَا تَبَايَعْتُمْ بِالْعِينَةِ، وَأَخَذْتُمْ أَذْنَابَ الْبَقَرِ، وَرَضِيتُمْ بِالزَّرْعِ، وَتَرَكْتُمُ الْجِهَادَ، سَلَّطَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ ذُلًّا لَا يَنْزِعُهُ حَتَّى تَرْجِعُوا إِلَى دِينِكُمْ). رواه أحمد وأبو داود.

وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا.

ترحب مجلة كلمة حق باستقبال مقالات القراء ، إذ تعمل هيئة التحرير على فرزها ونشر المتميز منها في كـل عدد جديد ، يُرجى إرسال المقالات على البريد التالـي klmtuhaq@gmail.com

شروط المقال

(١) ألا يكون عاطفيا يخاطب الشعور بل عقلانيا وما أجمل لو يكون خلاصة علمية.

(٢) أن يكون في باب الثورة والمقاومة والكفاح، فذلك واجب الوقت.

(٣) أن يكون عمليًا مفيدا وأحسن ما يكون لو قدم إجابة على سؤال كيف نفعل كذا، أو في الموقف الفلاني ماذا ينبغي أن نفعل، وهو مجال واسع، يكتب فيه السياسي والاقتصادي والقانوني والإعلامي والشرعي الثورات الأمة بحاجة لخبرات في كل هذه المجالات

(٤) أن يكون مكتوبًا باسم صاحبه، لا باسم مجهول ولا بكنية، فلئن كان ثمة ما قد يعرقل نشر الاسم الظروف خاصة ، فيمكن للمجلة أن تحتفظ بالاسم دون نشره لرغبة صاحبه.




عبدالله عزام
٢٤ نوفمبر ١٩٨٩
عز الدين القسام
٢٠ نوفمبر ١٩٣٥
klmtuhaq
كَلِمَةُ حَقّ
العدد ٢٩ ، ديسمبر ٢٠١٩
المشرف العام
محمد إلهامي
مدير التحرير
حامد عبدالعظيم